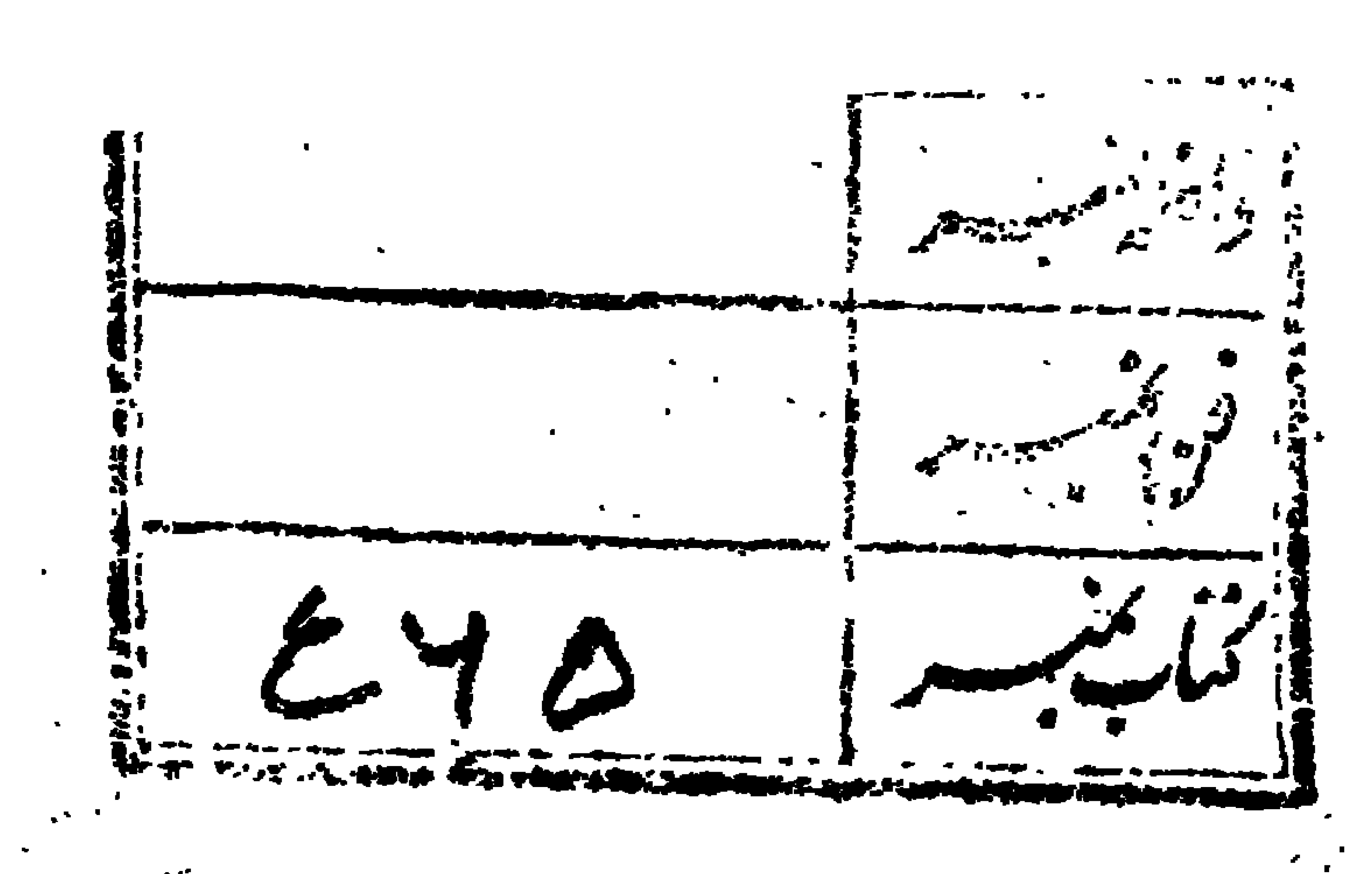
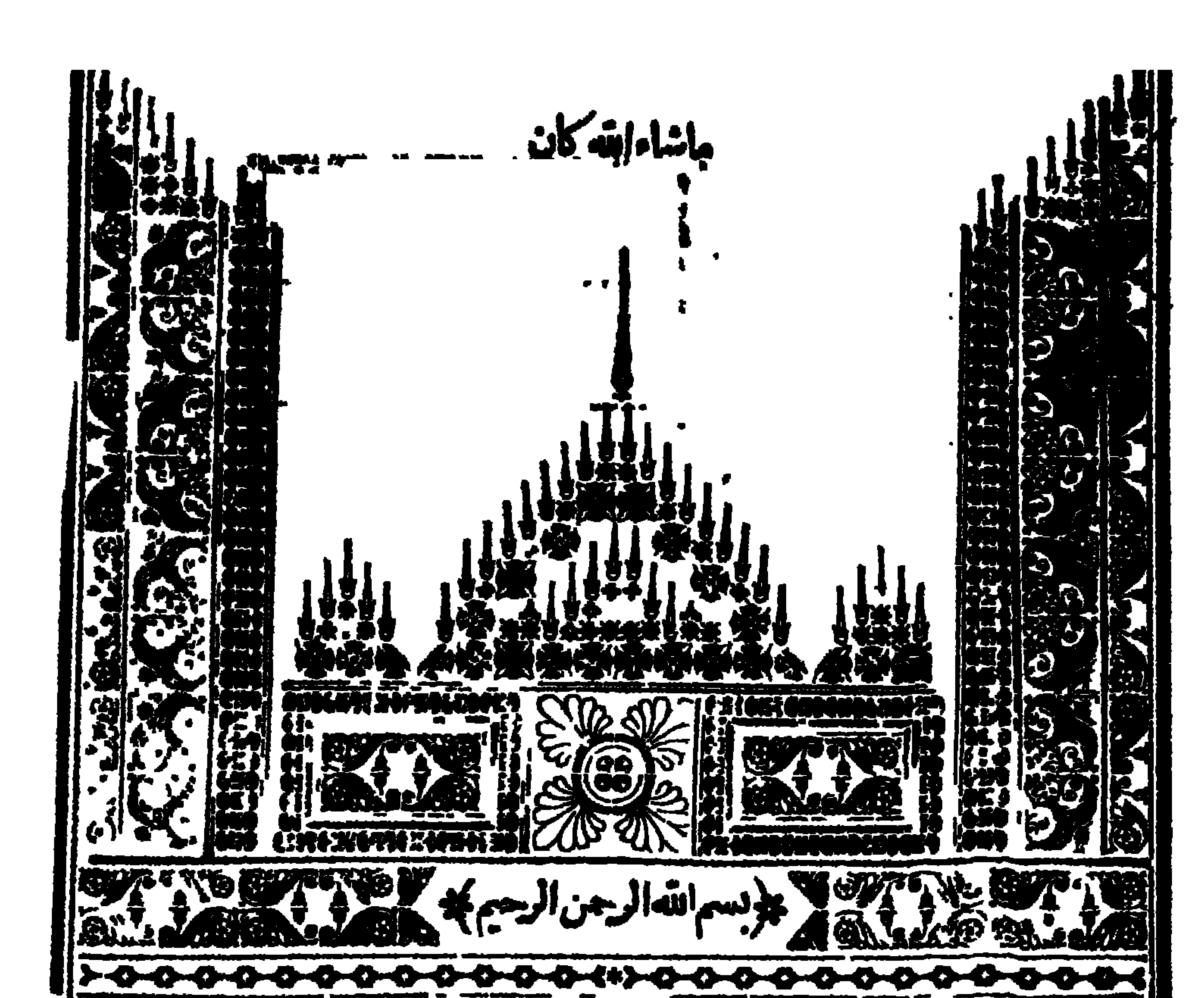
﴿فهرست كتاب اللطائف والظرائف للاديب أبي نصر المقدسي رحمه الله تعالى﴾

﴿تم الفهرست﴾

كتاب الامام أبي نصر احمد بن عبد الرزاق المقدسي الذي
جمع فيه بين كتابي العلامة الشيخ أبي منصور
الثعالبي المسمى أحدهما باللطائف
والظرائف في الاضداد والآخر
باليواقيت في بعض
المواقيت عفا
الله عنهما
آمين





قال أبو نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدسي أسعده الله برضاته

الحمد لله خير ما طلب به استفتاح الكلام واستنجاح المرام وصلى الله على سيد الانام محمد وآله واصحابه الطيبين الكرام ﴿وبعد﴾ فهذا الكتاب كان في نسختين متناسبتي الجمع متناصفتي الوضع صنعة الشيخ ابو منصور الثعالبي رحمه الله تعالى احدهما كتاب الظرائف واللطائف والآخر كتاب اليواقيت في بعض المواقيت وافرد لكل منهما صدرا اورد فيه لمن عمله باسمه ذكرا فجمعت بينهما في قرن وعطفت عنانيهما الى سنن اختصار الطريق الى فوائدهما وضما لشمل فرائدهما وعسى ان يحمد أثري فيما آثرت ويستظرف رأي رأيت فيه وأشرت والله تعالى يوزعنا من الاعتقاد أرشده ومن العمل احسنه ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فافتتح الظرائف واللطائف بقوله حمدا لله الخالق الخلق وباسط الرزق وصلواته على الصادع بالحق محمد رسوله الداعي الى الصدق وشكرا شكرا لبصر المجد وبدر الارض مولانا الامير السيد الملك المؤيد العادل العالم أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه مولى امير المؤمنين ادام الله سلطانه وحرس عزه ومكانه فقد بسط باع العدل واطال عنان الفضل وجلا صفحة الاحسان وفرش مهاد الامن والامان ونشر شعاع اليمن على اهل الايمان واقام قناة الدين ومتن رواق الملك المتين وفاق من في الارض بمكارم الاخلاق

وكاد

وكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يجر والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

ثم وجد درسوم العلم بعد ان نسجت عليها العنكبوت واحيا أنواع الآداب وقد كادت ان تموت فهو يحبها حب المحسن لمن احسن اليه والفارس غرس يديه ويتوفر على استجلاب ما بعد من دررها واستثارة ما كمن من غررها ويحرص عليها حرص النفس على تنفس الهواء ويطلبها طلب طير الماء الماء ذلك لامتزاج الادب بطبعه كامتزاج الشرف بنبعه والتئام الفضل بخلقه كالتئام الكرم بخلقه وكونه من السودد في سواد عينه وسويداء قلبه فعين الله عليه من كل طرف عائن وقلب خائن وادام الله جمال العالم بطول عمره وثبات ملكه ونفاذ امره وانتظام سلكه ولا أخلاه من علو الراية وادراك الغاية واعزاز الاولياء واذلال الاعداء ولقاء الضحى بين مطارح آرائه ومصارف اقلامه والصنع في مضارب سيوفه ومناقب اعلامه

وهذا دعاء لو سكت كفيته * لاني سألت الله فيك وقد فعل

(ثم ان هذا الكتاب) دلني على ما استسعدت به من الخدمة واستشعرته من شكر النعمة على ابتداء وضعه وابتداع جمعه واختراع ما لم أسبق الى مثله ولم أشارك في ارتباط شكله فألفته بالاسم العالي بمنة الله في مدح كل شئ وذمه وتزيينه وتهجينه وسياقه احسن ما أحاضر به فيه وفي ضده *وترجمته بالظرائف واللطائف في الاضداد* وافتتح اليواقيت في بعض المواقيت بخطبة هذه نسختها الحمد لله ما امكن الحمد الى أن يقطع العد وصلواته على خير من ارسل بخير ما أنزل سيدنا محمد المصطفى وآله واصحابه الذين ارتضى (هذا) اطال الله بقاء الامير الاجل كتاب مترجم باليواقيت في بعض المواقيت في مدح كل شئ وذمه ولم أسبق الى جمعه وابتداع وضعه وشاهدي على دعواي ان خزانة كتبه عمرها الله بدوام عمره ونظام امره وهي ام الغقر والغرر ومعدن الملح والطرف وقانون التحف والنكت خالية من مثله في فنه وان العبد أبا نصر سهل بن المرزبان وهو حليف الكتب وأليفها وابن بجدتها واخو جلتها وابو عذرتها لم تقع عينه على شبهه وطال ما اقترح على الزمان ان يتفق لاحد تأليفه ويتقدم له تبويبه وترتيبه فافتتحته بنيسابور وتطرفته بجرجان وتنصفته بالجرجانية واستتممته بغزنة اذ كان مذخور العالي بمجلسه ومقصورا على خزانة مجده ولم يعن عليه الا علو همته وعز دولته واذا كان مولانا أوحد السادات وهم آحاد الدنيا وفرد الملوك وهم افراد العليا فينبغي ان يكون الكتاب الذي يخدم به من وسائط عقود الادب وأناسي عيون الكتب ولئن احياني الله تعالى على يده ورزقني المثول بحضرة عزه وكعبة سودده لانفقن باقي عمري على خدمته واغرب وأبدع تأليفاتي

باسمه وسمته لا زال مولانا المحاسن كالينبوع للماء والزند للنار وادام الله ملكه واعز نصره وزاد علو امره واراه من اشباله واهليته ليوثا وبدورا يستقلون باعباء المملكة ويصلون جناحه في حماية الحوزة ورحم الله عبدا قال آمينا وهذا الكتاب مشتمل على مائة واثنين وستين بابا

باب مدح الدنيا

في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها (وذكر) أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الدنيا فقال هي دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها وهي مسجد أحباء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها وشوقت بسرورها الفاني الى السرور الباقي وحذرت ببلائها الماضي البلاء الغابر التالي ترغيبا وترهيبا فيا ايها الذام المغتر بتغريرها المنخدع لا باطلها حتى غرتك أبمصارع آبائك البلا أم بمضاجع امهاتك تحت الثرى فهذا أحسن ماروي في مدحها (وقال) ابن المعتز في رسالة له الدنيا دار التأديب والتعريف ومضمار التهذيب والتثقيف التي بمكروهها يوصل الى محبوب الآخرة وميدان الاعمال السابقة باصحابها الى الجنان ودرجة الفوز التي يرقى فيها المتقرب الى دار الخلد والرضوان وهي الواعظة لمن عقل والناصحة لمن قبل وبساط المهل ورباط العمل وقاصمة الجبارين وملحقة الرغم بمعاطس المتكبرين وكاسية التراب أبدان المختالين وصارعة المغترين ومصرعة المعترين ومفرقة أموال الباخلين وقاتلة القاتلين والعادلة بالموت على العادلين ومهبط القرآن المبين ومسجد العابدين وأم النبيين وناصرة المؤمنين ومبيدة الكافرين والحسنات فيها مضاعفة والسيآت بالآلام فيها ممحوة ومع عسرها يسران والله تعالى ضمن أرزاق أهلها واقسم في كتابه بمعانيها ورب طيبة من نعيمها قد حمد الله تعالى عليها فتلقتها أيدي الكتبة ووجبت بها الجنة ورب مال من زينتها وجه الى معروفها فكان جوازا على الصراط وكم نائبة من نوائبها وحادثة من حوادثها قد راضت الفهم ونبهت الفطنة وأذكت القريحة وأفادت فضيلة الصبر وكثرت ذخائر الاجر (وقيل) لعلي رضي

(لاحمد بن حنبل)
تمتعت من الدنيا بلقمة يائس
وابس عباء لا أريد سواها
لاني رأيت الدهر ليس بدائم
ودهري وعمري فانيان كلاهما

ة عنه يا أمير المؤمنين ألا ترى حرص الناس على الدنيا فقال هم أبناؤها
أخذ هذا المعنى محمد بن وهيب الحميري وقال

نراع لذكر الموت ساعة ذكره * ونعترض الدنيا فنلهو ونلعب
وقد ضمت الدنيا الى معروفها * وخاطبنى اكتامها وهو معرب
ولكننا منها خلقنا لغيرها * وما كنت منه فهو شئ محبب

(وقال أبو العتاهية)

ما أحسن الدنيا واقبالها * اذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها * عرض للادبار اقبالها

(وقال محمود الوراق)

ى الدنيا وزخرفها * ولكن ما مصائرها * لئن غرت منابرها
ند وعقلت مقابرها * وان غشت مواردها * فقد نغصت مصادرها

قال) وأنشدنى أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمى لبعضهم

فذم دنيا ان تأملتها * وجدت منها ثمن الجنه

(لبعضهم)
لا تتبع الدنيا وأيامها
ذما وان دارت بك
الدائره
من شرف الدنيا ومن
فضلها أن بها تستدرك
الآخرة

وقال) عبد الملك بن صالح ما جمشت الدنيا باظرف من النبيذ فنظمه
محمد بن معدان الشاشى

الا ان دنياك معشوقة * يفاديها كل عيش لذيذ
ولكنها قط ما جمشت * من اللهيات بمثل النبيذ

وقلت) فى كتاب المبهج الدنيا معشوقة ريقها الراح

(باب ذم الدنيا)

ال) بعض الحكماء الدنيا غدارة غرارة ان بقيت لها لم تبق لك (وقال)
واجد الدنيا سكران وفاقدها حيران (وقال آخر) أف من أشغال
دنيا اذا اقبلت ومن حسراتها اذا أدبرت وقال آخر ان الدنيا ليست
ليك لتسرك ولكن لتغمك وتغرك (وقال آخر) الدنيا أشبه شئ بظل
الغمام وحلم النيام (وقال الحسن) حلالها حساب وحرامها عقاب وقال
ى بن معاذ الدنيا خمر الشيطان فمن شرب منها سكر فلم يفق الا
عسكر الموتى نادما خاسرا وقال أيضا الدنيا جارية زانية ولو كانت
عفة لم يقربها أحد وقال عمارة الدنيا قحبة فيوما عند عطار ويوما عند
تار (وقال) ابن السماك الدنيا كالعروس المجلوة تشرفت لخطابها
فتنت بغرورها فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والابدان
عاشقة وهى لازواجها قاتلة (وقال) ابن المعتز أهل الدنيا كركب

سار بهم وهم نيام (وقال آخر) خير الدنيا حسرة وشرها ندم وقال
غيره مصائب الدنيا أكثر من نبات الارض (وقال) المأمون لو نطقت
الدنيا ما وصفت نفسها باحسن من قول أبي نواس

ما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(وقد ألم به ابن بسام بقوله)

أف للدنيا وأيامها * فانها للحزن مخلوقه
غمومها لا تنقضي ساعة * عن ملك فيها ولا سوقه
يا عجبا منها ومن شأنها * عدوة للناس معشوقه

(ومن الامثال السائرة فيها قول مسلم بن الوليد الانصاري)

دلت على عيبها الدنيا وصدقها * ما استرجع الدهر مما كان أعطاني

(وقول ابن الرومي)

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لأفسح مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

(وقال المتنبي) أبدا تسترد ما تهب الدنيا فياليت جودها كان بخلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهدا ولا تتمم وصلا
شيم الغانيات فيها فلا أدري لذا أنث اسمها الناس أم لا

(وقال آخر) أف للدنيا الدنيه * خبثت فعلا ونيه
عيشها بؤس وهم * وفي عقباه المنيه

(وقلت من قصيدة)

تسل عن الدنيا ولا تخطبنها * ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها * ومكروهها ان ما تدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا * وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراه ذعاف ومركب * شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يعجب الناس حسنه * ولكن له اسرار سوء قبائح

(وقال آخر)

هي الدنيا تقول بملء فيها * حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم طول ابتسامي * فقولي مضحك والفعل مبكي

(وقلت) في الكتاب المبهج نسيم الدنيا يقصر عن سمومها وأغذيتها

(لبعضهم)
وقائلة أرى الايام تعطي
لئام الناس من رزق معيش
وتمنع من له شرف وفضل
فقلت لها خذي أصل الحديث
رأت حل المكاسب من حرام
فجادت بالخبيث على الخبيث

لاتني بسمومها (وفيه) ساكن الدنيا راحل وانفاسه رواحل وأيامه مراحل (وفيه) الدنيا عروس تغتال الاخدان وتختان الاختان (وفيه) أمر الدنيا أمر وتحت بشرها غمر (وفيه) اقبال الدنيا كالمامة ضيف أو سحابة صيف أو زيارة طيف (وفيه) هبات الدنيا منغصة باحداثها وقصورها مبغضة باجداثها (وفيه) صاحب الدنيا بين العسل والصاب والنعمة والاوصاب (وفيه) المرء من دنياه بين أماني ممدوده وعواري مردوده

﴿باب مدح الدهر﴾

(قال) بعض الحكماء الدهر أنصح المؤدبين وقال آخر قد وعظنا الدهر لو اتعظنا ونصحنا لو انتصحنا (قال الشاعر)

عمري لقد نصح الزمان وصرفه ※ ومن العجائب ناصح لا يشفق

(وقال) العتابي من لم يؤدبه والداه ادبه الليل والنهار (وقال بشار)

ان دهرا يضم شملي بسلمى ※ لزمان قد هم بالاحسان

﴿وقال البحتري﴾

هل الدهر الاغمرة وانجلاؤها ※ وشيكا والا ضيقة وانفرادها

﴿وقال الاخطل﴾

وان أمير المؤمنين وفعله ※ لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

(وقال آخر) يقولون الزمان به فساد ※ لقد فسدوا وما فسد الزمان

(وأنشد في العباسي المأموني لبعضهم)

تذم دهرك جهلا في تصرفه ※ لا تشك دهرك ان الدهر مأمور

ماذنب دهرك والاقدار غالبة ※ وكل أمر اذا وافاك مقدور

فاصبر على حدثان الدهر وارض به ※ ما دام في الدهر مهموم ومسرور

وأنشد في ابو القاسم حبيب المذكر لغيره

رضا بالدهر كيف جرى وصبرا ※ ففي أيامه جمع وعيد

ولم يغشن عليك قضيب عود ※ من الايام الالان عود

﴿ولابي الفتح بن العميد﴾

أين لي من يفي بشكر الليالي ※ حين ضافت خبا المعالي

لم يكن لي على الزمان اقتراح ※ غيرها منية فجاد بها لي

(وللوزير المهلبي) رق الزمان لفاقتي ※ ورثى لطول تحرقي

وأنالني ما أرتجي ※ وأقالني ما أتقي ※

(الحافظ ابن حجر)

خليلي ولى العمر منا ولم نتب
وننوي فعال الصالحين وما تبنا
فحتى متى نبني قصورا مشيدة
وأعمارنا منا تهدوما تبنى

فلأصفحن عما جنا ✽ من الذنوب السبق
حتى جنايته بما ✽ فعل المشيب بمفرقي

✽باب ذم الدهر✽

(قال) بعض الحكماء ان الدهر ما أكدر صافيه وأخيب راجيه واعدى أيامه ولياليه (وقال آخر) من لعيدان بغوائل الزمان (وقيل) يسار الدهر في الاخذ أسرع من يمينه في البذل لا يعطي بهذه الا ارتجع بتلك (وقال آخر) الدهر لا يؤمن يومه ويخاف غده ويرضع نديه ويجرح يده ✽ وقيل الدهر يغر ويضر ويسوء من حيث يسر وقال آخر الدهر لا تنتهي فيه المواهب حتى تتخللها المصائب ولا تصفو فيه المشارب حتى تكدرها الشوائب (وفي فصل لابن المعتز) هذا زمان متلون الاخلاق متداعي البنيان موقظ الشر منيم الخير مطلق أعنة الظلم حابس روح العدل قريب الاخذ من الاعطاء والكآبة من البهجة والقطوب من البشر مر الثمرة بعيد المجتنى قابض على النفوس بكربته منيخ على الاجسام بوحشته لا ينطق الا بالشكوى ولا يسكت الا على غصص وبلوى (ومثله فصل للصاحب) الزمان حديد الظفر لئيم الظفر حلو المورد مر المصدر أثره عند المرء كاثر السيف في الضريبة والليث في الفريسة (ولشمس المعالي قابوس بن وشمكير) الدهر شر كله مفصله ومجمله ان أضحك ساعة أبكى سنة وان أتى بسيئة جعلها سنة ومن أراد منه غير هذا سيره أراد من الاعمى عينا بصيره ومن ابتغى منه الرعايه ابتغى من الغول الهدايه (ومن) أحسن ما قيل في ذمه قول ابن المعتز وهو الامام في ذلك

ألست ترى يا صاح ما أعجب الدهرا ✽ فذما له لكن للخالق الشكرا
لقد حبب الموت البقاء الذي أرى ✽ فيا حسدا مني لمن يسكن القبرا

وله
يا دهر ويحك قد أكثرت فجعاتي ✽ شغلت ايام دهري بالمصيبات
ملأت ألحاظ عيني كلها حزنا ✽ فأين لهوي وأحبابي ولذاتي
جدا لربي وذما للزمان فما ✽ اقل في هذه الدنيا مسراتي

وله
يا صاحبي ان الزما ✽ ن كما علمت وما علمته
يفني الذي جمعته ✽ بيدي ويحصد ما زرعته
ويخون من صافيته ✽ عمدا ويعشق من مقته
وجعلته لحمدته ✽ وذممته لما عرفته

(لبعضهم)
سرور الدهر مقرون بحزن
فكن منه على حذر شديد
ففي يمناه تاج من نضار
وفي يسراه قيد من حديد

ولطالما

ولطالما تبقيه * حتى على رغمى تركته

(وقال عبد الله بن طاهر)

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما اعطى ويفسد ما اسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

(وقال بعضهم)

ألم تر أن الدهر يوم وليلة * يكران من سبت عليك الى سبت
فقل لجديد الدهر لابد من بلى * وقل لاجتماع الشمل لابد من شت

(وقال البستى)

صبرا على الدهر الخؤن وريبه * يا نفس كيلا نبتلى بكلابه
واذا صبرت على اساءة ظالم * لا تندمى فثوابه بك لابه

(ومن قلائد ابن الرومى فى هذا المعنى)

دهر علا قدر الوضيع به * وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا وتعلو فوقه جيفه

(وأنشدنى أبو بكر الطبرى)

الدهر يستخدم من يخدم * حتى يذيق الهون من يكرم
كالارض لا تطعم من فوقها * الا لكى تطعم من تطعم

(ولغيره)

يا محنة الدهر كفى * ان لم تكفى فخفى
ما ان يكن ترجينا * من طول هذا التشفى
ذهبت أطلب بختى * فقيل لى قد توفى
ثور ينال الثريا * وعالم متخفى

(ولابى محمد المروزى)

تقاضاك دهرك ما أسلفا * وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تنكرن فان الزمان * جدير بتشتيت ما ألفا

(ولابى جعفر الموسوى)

أى خير ترجو بنو الدهر فى الدهر وما زال قاتلا لبنيه
من يعمر يفجع بفقد الاخلا * ومن مات فالمصيبة فيه

(وقلت)

أقول والقلب مكدود باحزان * والصبر أبعد مما بين أجفانى
حتى متى أنا ابدى العض أنملتى * غيظا على زمن قد رام ازمانى
فكل يوم أرانى من نوائبه * كأننى اصبع والدهر أسنانى

(لبعضهم)
علام تحركى والدهر ساكن
وما انهمت فى طلب ولكن
أرى وغدا تقدمه المساوى
على حر تؤخره المحاسن

(ولآخر)
لا تحسدن على البقاء معمرا
فالموت أيسر ما يؤل اليه
واذا دعوت بطول عمر لامرئ
فاعلم بانك قد دعوت عليه

(وقلت أيضا)

كم الى كم تبرى بجيافى * أتساوى تساوى الحيات
تحت عبء من الزمان ثقيل * وخطوب قوسن منى قناتى

(ولابن لنكك البصرى)

* يازمانا البس الاحرار ذلا ومهانه
لست عندى بزمان * انما أنت زمانه
كيف أرجو منك خيرا * والعلى فيك مهانه
أجنون ما أراه * منك يبدو أم مجانه

(ولقابوس بن وشمكير)

قل للذى بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر الا من له خطر
ففى السماء نجوم غير ذى عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر
أماترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر

(وقال آخر)

يادهر ويحك ماهذا الغلط * وضيع علا وشريف هبط
حمار يرتع فى روضة * وطرف بلا علف يرتبط

(باب مدح السلطان)

(قد قرن) الله طاعته وطاعة النبى بطاعة السلطان حيث قال جل ذكره أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله فى أرضه يأوى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر واذا جارت الولاة قحطت السماء (وقال) أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن (وقال) الفضيل بن عياض رحمه الله لو كانت لى دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان قيل ولم تقدمته على نفسك قال ان دعوتى لنفسى لا تنفع غيرى فاذا كانت له انتعش البلاد والعباد بعدله وصلاحه (وقال) عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه لابد للناس من وزعة وقيل للحسن ماتقول فى السلطان فقال ماعسيت أن أقول فى قوم يلون من أمورنا خمسة الجمعة والجماعة والثغور والحدود والفىء والله مايستقيم الدين الا بهم وان جاروا وظلموا ولما يصلح الله بهم أكثر مما يفسد (وقال) الجاحظ لولا السلطان لا كل الناس بعضهم بعضا كما انه لولا الراعى لاتت السباع

على

(لبعضهم)

لله يرفع بالسلطان
معضلة
عن ديننا رحمة منه
ودنيانا
لولا الائمة لم تؤمن
لنا سبل
وكان أضعفنا نهبا
لأقوانا

على الماشية (ومن الامثال) جاور ملكا أو بحرا وفي فصول ابن المعتز فساد الرعية بلا سلطان كفساد الجسم بلا روح وفي بعض كتب العجم ان الملك العادل كالشمس في الشتاء والقمر في الخريف والرخاء في جميع الازمنة وهو في الاصحاب كالرأس في الجسد وفي الاولياء كالماء الغسل وفي الحروب كالحريق المشتعل (وقيل) مثل الاسلام والسلطان والاعوان والرعية كالفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد لا يقوم بعض ذلك لا ببعض وقال ابن المعتز الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى وذكر ابن المقفع في تشبيه السلطان ومال الناس منهم كثيرة الامور ... الشمس في الم... ... ما يصل الى ... الناس من عدله ... مع ما يمس بعضهم من الظلم بالغيث الذي يغيث البلاد وينعش العباد ويم الاودية ويتداعى له البنيان وتكون معه الصواعق والرياح التي هي روح النفوس واقاح الثمار ويهاس... ... الجو وسفاين ال... وقد تضر بكثير من الناس وتتعدى الى اموالهم ونفوسهم وبالشتاء والصيف الذين بتعاقبهما صلاح الحرث والنسل وحياة الحيوان والنبات وقد يكون الضرر الاذى في البرد اذا لذع والحر اذا سفع وبالليل الذي جعله الله سكنا ولباسا وقد تعدو فيه هوام الارض وسباعها ويستوحش به الوحيد وذو العلة والمسافر في القفر وبالنهار الذي جعله الله ضياء ونشورا ومعاشا وقد تصبح فيه الغارات والوقائع ويكون في ظهائره النصب واللغوب وليس ما يصل الى الآحاد والشواذ من مكروه الامور العامة النفع مزيلا لها عن طريق الحمد وكذلك المضار اذا اتفقت بان تضمن نفعا القليل من الناس مع اجحافها بالكثير لم تزل عن طريق الذم

﴿ باب ذم السلطان ﴾

(قال) بعض الحكماء اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويأخذ أخذ السبع ومن الامثال الملك عقيم أي لا أرحام بين الملوك وبين أحد وفيهما امامن ملك الا استأثر وقال المأمون ان فينا معشر الملوك حسدا واستئثارا ومحكا ولجاجا وكان أبو علي الصغاني يقول من والانا أخذنا ماله ومن عادانا أخذنا رأسه (وفي كتاب كليلة ودمنة) من سكر السلطان أنه يرضى عمن استوجب السخط ويسخط على من استوجب الرضا من غير سبب معلوم وكذلك قالت العلماء خاطر من ركب في البحر وأشد مخاطرة منه خادم السلطان وقيل أسرع الاشياء تقلبا قلوب الملوك

(ابن ... هم)
اذا صحبت الملوك
فالبس
من المرايا عز ملبس
وادخل اذا ما دخلت
أعمى
واخرج اذا ما خرجت
أخرس

ويقال اذا تغير السلطان تغير الزمان وقيل سكر السلطان أشد من سكر الخمر ويقال اعتزل السلطان بجهدك فان من خدمه بحقه وشرطه حال بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لم يوف خدمته حقها خسر الدنيا والآخرة * وكان الفضل بن مروان يقول ما رأيت أقرب رضا من سخط ولا أسرع ما بين قرب رضا وسخط من الملوك ويقال ثلاثة لا أمان لهم البحر والزمان والسلطان وكان حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه يقول اياكم ومواقف الفتن يعني أبواب السلاطين (وقال) ملك لبعضهم لم لا تأتينا قال ما أصنع باتيانك وانك ان أدنيتني فتنتني وان أبعدتني أحزنتني (ويقال) ثلاثة لا ينبغي للعاقل ان يغتر بهن المال والصحة والمنزلة من السلطان (وقال) البديع ان الملوك ان خدمتهم ملوك وان لم تخدمهم أذلوك وكان الضحاك بن مزاحم يقول اني لاسهر عامة ليلي متفكرا التمس كلمة أرضي بها سلطاني ولا أسخط ربي فلا أجدها

باب مدح عمل السلطان

(كان) معاوية رضي الله عنه يقول فى الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع وعوتب بعض الحكماء على خطبته عمل السلطان فقال لقد خطبه وطلبه الصديق بن اسرائيل بن الذبيح بن الخليل عليهم الصلاة والسلام حيث قال للملك بمصر اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (وفي كتاب كليلة ودمنة) مثل السلطان في اقباله على الاقرب فالاقرب منه دون الافضل فالافضل مثل الكرم الذى لا يتعلق بابعد الشجر بل بأقربها منه * ومن أمثال هذا الباب بول زياد في رحل ولي تخريب جامع البصرة آثر الامارة ولو على الحجارة * ومن أمثال العجم من تمع الاسود لم يحرم لذة الصيد (ومن أمثال بغداد) غبار العمل خير من زعفران التعطيل وكان يونس النحوي يقول الولاية وكل مدح والعزل وكل ذم والشيب وكل عيب ويقال أربعة لا يستحيا من خدمتهم السلطان والوالد والضيف والاستاذ وكان أحمد ابن اسرائيل يقول أربعة لا يقيمها الا عمل السلطان اتصال الدعوات واتخاذ القينات والابنية والتمتع بالسراري الثمينة (ويقال) من خدم السلطان فهو خادم من جهة ومالك من أخرى ومن خدم الرعية فهو خادم من كل جهة (ويقال) من خدم السلطان خدمه الاخوان والجيران وقيل أربعة لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والسلطان

* باب ذم عمل السلطان *

(من) امثال العامة صاحب السلطان كراكب الاسد يهابه الناس وهو من مركبه أهيب وقيل من تحمى مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين وقيل من أكل من مال السلطان زبيبة أداها تمرة (وفى كتاب كليلة ودمنة) مثل السلطان كالجبل الصعب المرتقى الذى فيه كل ثمرة طيبة وكل سبع حطوم فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد (وكان) ابراهيم ابن العباس يقول أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلا ثم وقعوا منه فكان اقربهم الى الردى أبعدهم فى المرقى ويقال أدوم التعب خدمة السلطان وقيل من أراد العز بالسلطان لم يلبث حتى يذل ومن فصول ابن المعتز أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما أن أقرب الاشياء الى النار أشد احتراقا وقال أيضا من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة ويقال لا تتشبث بالسلطان فى وقت اضطراب الامور عليه فان البحر لا يكاد يسلم منه راكبه فى حال سكونه فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه وقيل لا يدرك الغنى بالسلطان الا كل نفس خائفة وجسم تعب ودين منثلم (وقد نظمه أبو الفتح البستى فقال)

يا من يرى خدمة السلطان عدته * ما أرش كذلك الا الكد والندم
دع الملوك فخير من وجودك ما * ترجوه عندهم الحرمان والعدم
انى ارى صاحب السلطان فى ظلم * ما مثلهن اذا قاس الفتى ظلم
فجسمه تعب والنفس خائفة * وعرضه عرضة والدين منثلم

(وله أيضا) صاحب السلطان لا بد له * من غموم تعتريه وغمم
والذى يركب بحرا سيرى * قحم الاهوال من بعد قحم

* وللصاحب فى معناه *

اذا أدناك سلطان فزده * من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان الا البحر عظما * وقرب البحر محذور العواقب

(ويقال) الولاية حلوة الرضاع مرة الفطام وقال بعض الزهاد تباعد من السلطان ولا تأمن خدع الشيطان ويقال العزل طلاق الرجال وقال ابن المعتز

سكر الولاية طيب * وخماره ذل شديد
كم تائه بولاية * وبعزله ركض البريد

(وكان) ابن أبى البغل يقول لا تحدن مال المتصرف مالا فانه يغدو غنيا ويروح فقيرا * وفى قصة ابن تهنئة بالعزل ليهن مولى حقه تظهر

(لبعضهم)
ان الولاية لا تدوم لواحد
ان كنت تنكر
فاين الاول
فاغرس من الجميل صنائعا
فاذا عزلت فانها
لا تعزل

ودعة الصدر بالتفصى عن العدل الذى هو مع هذه العواقب الوخيمة والرسوم الذميمة بمنزلة الحبائل المبثوثة والاشراك المنصوبة

﴿باب مدح الوزارة﴾

الوزارة اسم جامع للمجد والشرف والمروءة وهى تلو الامارة واندرجة العليا والرتبة الكبرى فى الرياسة والسيادة (وللمنصور النميرى) فى يحيى بن خالد البرمكى

ولو علمت فوق الوزارة رتبة ﴿ تنال بجد فى الحياة لنالها

والانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يستغنوا عن الوزراء فكيف العظماء والملوك وقد نطق القرآن بوزارة هرون لموسى عليهما الصلاة والسلام حيث قال جل وعز حكاية عن دعاء موسى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى ثم قال فى تمام الآية قد أوتيت سؤلك ياموسى فدل على أنه جعله وزيره وصاحب أمره وشريكه وأفصح عن حسن أثر موقع الوزارة وجلالتها ووقوع الحاجة اليها (وكان) آصف بن برخيا وزير سليمان عليه الصلاة والسلام وكان سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لى وزيران من أهل الارض ووزيران من أهل السماء فاما اللذان فى الارض فأبو بكر وعمر وأما اللذان فى السماء فجبريل وميكائيل عليهما السلام وقال عليه الصلاة والسلام اذا أراد الله بملك خيرا جعل له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا أعانه أو أراد شرا كفه (وقيل) لا تغتر بكرامة الامير اذا غشك الوزير والى هذا أشار ابن العميد وزاد فيه حيث قال لصديق له من العلوية وكان مختصا بأميره ركن الدولة

وزعمت انك لست تفكر بعدما ﴿ علقت يداك بذمة الامراء
هيهات لم تصدقك فكرتك التى ﴿ قد أوهمتك غنى عن الوزراء
لم تغن عن أحد سماء لم تجد ﴿ أرضا ولا أرض بغير سماء

والذى يحكم بشرف الوزراء ومكانتهم ومشاركتهم الملوك فى الامور وتصريف أعنة التدابير مافى المزدوجة المعروفة بذات الحلل قصيدة ابن المعتز

اذا طلبت نائل الامير ﴿ فالطف له من قبل الوزير

وكان أنوشروان يقول لا يستغنى أعلم السلاطين عن الوزير ولا أجود السيوف عن الصقال ولا أفره الدواب عن السوط ولا أعقل النساء عن الزوج وما أحسن قول أبى تمام لمحمد بن عبد الملك وزير المعتصم والواثق

(لبعضهم)
يامن أعاد رميم الملك منشورا
اوضم بالرأى أمرا كان منثورا
أنت الوزير وان لم تؤت منشورا
والامر بعدك ان لم تؤت عن شورى

بعده

بعده أبا جعفران الخليفة ان يكن * لواردنا بحرافانك ساحل
تقطعت الاسباب ان لم يغرلها * قوى أو يصلها من يمينك واصل

﴿وقال آخر﴾

لامير المؤمنين المرتجى * بحر جود ليس يعدوه أحد
وأبو النجم لمن يقصده * مشرع منه الى البحر يرد

(وكان) الصاحب يقول مدحت بمائة ألف بيت ليس أحب الى من قول أبي سعيد الرستمي حيث قال

ورث الوزارة كابرا عن كابر * موصولة الاسناد بالاسناد
يروي عن العباس عباد وزا * رته واسماعيل عن عباد

﴿باب ذم الوزارة﴾

كان أحمد بن اسرائيل يذم الوزارة ويستكثر منه فلما خطبها وتقلدها قيل له ألم تكن تذمها قال بلى ولكنها مركب بهي شريف شهي لا تطيب النفوس بتركه على ما فيه من عظيم الخطر (وقال) المأمون لأحمد بن خالد هل لك في أن أستوزرك قال دعني يا أمير المؤمنين يكون بيني وبين الغاية درجة يرجوها الصديق ويخافها العدو فلست أريد بلوغ الغاية لئلا يقول عدوي قد بلغها وليس الا الانحطاط وقد قال الشاعر

ان الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك كان وزيرا

وكان ابراهيم بن المدبر اذا عرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابي

تلوم على ترك الغنى باهلية * نفى الدهر عنها كل طرف وتالد
ترى حوله النسوان يرفلن كالدمى * مقلدة أعناقها بالقلائد
فقلت لها لما رأيت دموعها * تحدرن فوق الخد مثل الفرائد
أسرك انى نلت ما نال جعفر * من المال أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أعضني * معضهما بالمرهفات البوارد
ذريني تجئني ميتتي مطمئنة * ولم أتجشم هول تلك الموارد
فان عليات الامور مشوبة * بمستودعات في بطون الاساود

(وقال) بعض الحكماء أكثر الناس حاسدا وعدوا ومنابذا وزير السلطان وكان في كتاب مروان أخوف ما تكون الوزراء عند سكون الدهماء (وقيل) مثل الملك الصالح اذا كان وزيره فاسدا مثل الماء الصافي العذب النمير الذي فيه التماسيح لا يستطيع الانسان وروده وان كان عائما والى الماء ظامئا (وللبستي في معناه)

(ولابن الماوردي)
قالوا فلان قد وزر
فقلت كلا لا وزر
الدهر دائم ولا
يدور الا بالبقر

مرضوفى عـلى وزارة بست * ورأوها من أعظم الدرجات
قلت لا أشتهى وزارة بست * اننى لم أمـل بعـد حياتى
(وله) أكتاب بست كم تفاخر كم على * وزارة بست وهى قاصمة الظهر
وزارة بست كالهباء اذا سرى * ومدتها منذ الغداة الى الظهر
فـلا تخطبنها انها ضرة النهى * وبغيتها روح العولة فى المهر
(وله) وزارة الحضرة الكبيره * خطيئة بل هى الكبيره
فلا تردها ولا تردها * فانها محنـة مـبيره

باب مدح العقل

(قال) الله تعالى شأنه تعظيم العقل ان فى خلق السموات والارض الى قوله لآيات لقوم يعقلون وقال جل ذكره فاتقون يا أولى الالباب وقال عز اسمه ان فى ذلك لعبرة لأولى الالباب (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم الناس يعملون الخيرات وانهم يعطون أجورهم يوم القيامة على قدر عقولهم (وقيل) له عليه الصلاة والسلام فى الرجل الحسن العقل الكثير الذنوب فقال مامن آدمى الا وله خطايا وذنوب فمن كانت سجيته العقل لم تضره ذنوبه لانه كلما أخطأ لم يلبث ان يتدارك ذلك بتوبة تمحو ذنوبه وتدخله الجنة وقال سعيد بن المسيب فى قوله عز وجل وأشهدوا ذوى عدل منكم يعنى ذوى عقل وقال مجاهد فى قوله تعالى جده ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وقال الضحاك فى قوله جل ثناؤه لينذر من كان حيا أى عاقلا وقال الحسن العقل هو الذى يهدى الى الجنة ويحمى عن النار قال الله عز وجل حكاية عن أهل النار وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير وقال حكيم لامال أعوز من العقل وقيل العقل أشرف الاحساب وما عبد الله بمثل العقل وقال آخر العقل أحصن معقل وقال آخر أشد الفاقة عدم العقل وقال آخر كل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا (ومن فصول ابن المعتز) العقل غريزة تربيها التجارب (ومنها) حسن الصورة الجمال الظاهر وحسن العقل الجمال الباطن (ومنها) ليست الصورة الانسان انما الانسان العقل (ومنها) ما أبين وجوه الخير والشر فى مرآة العقل ان لم يصدأها الهوى (ومنها) العقل صفاء النفس والجهل كدرها وقال الشاعر

يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى قومه بحسيب
اذا حـل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقـل فى بلدة بغريب

وفى كتاب رهن العيون فى الجد والمجون فى مدح العقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فادبر ثم قال له وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أكرم على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب ثم

قال

قال لو أن رجلا قاتل فى سبيل الله وحج واعتمر وغزا لما دخل الجنة الا بمقدار عقله وقال أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه العقل قرة عين والجهل رائد حين وقيل رغبة العاقل فيما يكفيه وهم الجاهل فيما لا يعنيه وقيل من اتعظ بأبلغ العظات نظر الى محلة الاموات ومصارع الآباء والامهات وقلت فكرته فى الشهوات

﴿باب ذم العقل﴾

(كان) يقال العقل والهم لا يفترقان (وقال ابن المعتز)

وحلاوة الدنيا لجاهلها ✽ ومرارة الدنيا لمن عقلا

ومن قصار فصول ابن المعتز العاقل لا يدعه ماستر الله من عيوبه يفرح بما أظهره الله من محاسنه (وله فصل يليق بهذا الباب فى نهاية الحسن) العقل كالمرآة المجلوة يرى صاحبه فيها مساوى نفسه فلا يزال فى صحوه مهموما متعذر السرور واذا شرب صدئ عقله بمقدار ما شرب فان أكثر منه غشيه الصدأ كله حتى لا تظهر له صورة تلك المساوى فيفرح ويمرح والجهل كالمرآة الصدئة أبدا فلا يرى صاحبه الا مسرورا أبدا نشطا قبل الشرب وبعده (ومن قلائد المتنبى قوله)

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله ✽ وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

قال أبو الفتح بن جنى هذا كقولهم ما سر عاقل قط (ولما) عزل عمر بن الخطاب زيادا عن عمل كان يتولاه قال له زياد يا أمير المؤمنين أمن عجز أو خيانة فقال لا من أحدهما ولكنى كرهت ان أحمل على الناس فضل عقلك وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول لو كان الناس كلهم عقولا لخربت الدنيا وقال آخر لولا الحمقى لبطل العالم وقال بعضهم لو كان الناس كلهم عقلاء ما أكلنا رطبا ولا شربنا عذبا يعنى ان العقلاء لا يقدمون على صعود النخيل لاجتناء الرطب ولا على حفر الآبار لاستنباط الماء البارد العذب وينشد

لما رأيت الدهر دهر الجاهل ✽ ولم أر المغبون غير العاقل

شربت خمرا من خمور بابل ✽ فصرت من عقلى على مراحل

﴿باب مدح العلوم﴾

قد مدح أبو عثمان الجاحظ أنواع العلوم وذمها بأعيانها معربا عن قدرته على الكلام وبعد شأوه فى البلاغة وحين سئل عن الاثر فقال هو أخبار الماضين وأنباء الغابرين وقصص المرسلين وآداب الدنيا والدين ومعرفة الفرض والنافلة والشريعة والسنة والمصلحة والمفسدة والنار والجنة الى صاحبه تشد الرحال وحوله يعتكف الرجال ويسير بذكره فى البلدان ويبقى اسمه على ممر الزمان (قيل فالفقه) قال فيه علم الحلال والحرام وبه تعرف شرائع الاسلام وتقام الحدود والاحكام وهو عصمة

فى الدنيا وزينة فى الاخرى يخطب لصاحبه فضل الاعمال ويخلع عليه ثوب الجمال ويلبسه الغنى ويبلغه مرتبة القضا (قيل فى الكلام) قال عيار كل صناعة وزمام كل عبارة وقسطاس يعرف به الفضل والرجحان وميزان يعلم به الزيادة والنقصان ومحك يتميز به الخاص والعام والخالص والمشوب ويعرف به الابريز والستوق ويتظر به الصفو والكدر وسلم يرتقى به الى معرفة الصغير والكبير ويوصل به الى الحقير والخطير وادلة للتفصيل والتحصيل وادراك الدقيق والجليل وآلة لاظهار الغامض المشتبه واداة لكشف الخفى الملتبس وبه تعرف رؤية الرب وحجة الرسل ويحترز به من شبهات المقالات وفساد التأويلات وبه تدفع مضلات الاهواء والملل وتبطل تأويلات الاديان والملل ويتروع عن غباوة التقليد وغمة الترديد (قيل فى الفلسفة) قال اداة الضمائر وآلة الخواطر ونتائج العقل وادلة لمعرفة الاجناس والعناصر وعلم الاعراض والجواهر وعلل الاشخاص والصور واختلاف الاخلاق والطبائع والسجايا والغرائز (قيل فى النجوم) قال معرفة الاهلة ومقادير الاظلة وسموت البلدان واقدام الزوال فى كل وقت وزمان وعلم ساعات الليل والنهار فى الزيادة والنقصان وامارات الغيوث والامطار واوقات سلامة الزرع والثمار (قيل فى الطب) قال سائس الابدان والمنبه على طبائع الحيوان وبه يكون حفظ الصحة ومرمة العلة والوقوف على المنافع والمضار والابانة عن خبايا الاسرار وعلم يضطر اليه الخاص والعام ويفتقر اليه الناس والانعام ولا يستغنى عنه الصغير والكبير ويحتاج اليه الحقير والخطير (قيل فى النحو) قال يبسط من العى اللسان ويجرى من الحصر البيان وبه يسلم من هجنة اللحن وتحريف القول وهو آلة لصواب المنطق وتسديد كلام العرب (قيل فى الحساب) قال علم طبعى لا خلاف عليه واضطرارى لا مطعن فيه ثابت الدلالة صائب المقالة واضح البرهان شديد البنيان سالم من المناقضة خال من المعارضة حاكم يقطع الخلاف مؤد الى الانصاف والانتصاف وبه حفظ الاعمال ونظام الاموال وقوام امور الملوك والتجار وثبات قوانين البلاد والامصار (قيل فى العروض) قال ميزان الشعر وعيار النظم ورائض الطبع وسائس الفهم وبه يعرف الصحيح من المريض وفلك عليه مدار القريض (قيل فى التعبير) قال علم نبوى وسفير آلهى

(للبرهان الاقانى)
ادركوا العلم وصونوا اهله
عن ظلوم حاد عن تحصيله
انما يعرف قدر العلم من
سهرت عيناه فى تحصيله
(ولبعضهم)
العلم فيه جلالة ومهابة
والعلم انفع من كنوز الجوهر
تفنى الكنوز على الزمان وصرفه
والعلم يبقى دائما فى الاعصر

واشارة سماوية وعبارة غيبية وبشير ونذير يخبر عن الاشياء الغائبة والحاضرة وينبئ عن أمور الدنيا والآخرة (فصل فالخط) قال لسان اليد ولهجة الضمير ووحى الفكر وناقل الخبر وحافظ الاثر وعمدة الدين والدنيا ولقاح اللفظ والمعنى (قال مؤلف الكتاب) فهذا آخر ما حكى عن الجاحظ فى مدح العلوم * وهذا ما أحاضر به فى مدح العلم والعلماء (عن) النبى صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ويقال العلم خير من المال لان العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والملوك حكام الناس والعلماء حكام على الملوك (وقال بعض العلماء) ليس شئ أعز من العلم وقال بعض العلماء انا لم نطلب العلم لنحيط به كله اذ لا سبيل الى ذلك ولكن لنستكثر من الصواب ونستقل من الخطأ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلوات الله وسلامه عليه لا خير فيمن لا يكون عالما أو متعلما * ومن فضائل العلوم أن شهادة أهلها مقرونة بشهادة الله تعالى جده وملائكته فى قوله عز اسمه شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم (وقال) على رضى الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب اليه ويقال العلماء فى الارض كالنجوم فى السماء لولا العلم لكان الناس كالبهائم وقال بعض الحكماء العلم حياة القلوب ومصباح الابصار وقال ابن المعتز فى فصوله علم الرجل ولده المخلد وقال أيضا الجاهل صغير وان كان شيخا والعالم كبير وان كان حدثا وقال أيضا مامات من أحيا علما (وذكرت) فى الكتاب المبهج العلم أشرف ما وعيت والخير أفضل ما أوعيت وفيه العلماء أعلام الاسلام وأمان الايمان قال الشاعر

العلم خير أداة أنت حامدها * تلقى الرجال به فى الحفل ان حفلوا
وآفة العلم أن ينسى وأفضله * ما وافق العلم ممن يكمل العمل

(وقال أيضا)

اذا العلم لم تعمل به صار حجة * عليك ولم تعذر بما أنت جاهله

(ويقال) جالسوا عين قومكم يعظم حلمكم ويكثر علمكم وقال سليمان علم لا يقال كنز لا ينفق ويقال باب من العلم جسيم اذا سئلت عن الذى لا تعلم فقلت لا أعلم

(ولبعضهم)
كم جاهل متواضع
ستر التواضع جهله
ومقرر فى علمه
هدم التكبر فضله
فدع التكبر ما حييت
ولا تطاوع أهله
الكبر عار للفتى
أبدا يقبح فعله

باب ذم العلوم

(سئل) الجاحظ عن العلوم فأجاب بخلاف ما تقدم ونقض ما هنالك ابرم (سئل عن الكلام) فقال متفاوت الاصول قليل المحصول همة مناظر متملق وآلة مهذار ومتشدق (قيل فالفقه) قال يعتقد بالآراء ويتقلد بالاهواء دقيقه لا يلحق وجليله لا ينفق وهو من علوم المدابر الحيرفي التدابير (قيل فالحديث) قال همة ضعيف وآلة مسن (قيل فالفلسفة) قال كلام مترجم وعلم مرجم بعيد مداه قليل جدواه يخوف على صاحبه سطوة الملوك وعداوة العامة (قيل فالنجوم) قال حدس وترجيم وتخسيف وتنجيم صوابه عسير وغلطه كثير حرفة محدود وصناعة غير محدود (قيل فالطب) قال موضوع على التخمين والحدس وتعليل النفس لا يوصل منه الى الحقيقة ولا يحكم فيه بالوثيقة (قيل فالنحو) قال علم مخترع وقياس مبتدع ثقيل على الاسماع قليل الارتفاع والانتفاع علم معدم وصناعة معلم (قيل فالعروض) قال علم مولد وأدب مستبرد يشكل العقول ويستولد المفعول مستفعلن وفعول من غير فائدة ولا محصول (قيل فالحساب) قال مستعجم عسير ومستوخم كدر بعيد الادراك شديد الاشتباه والاشتباك (قيل فالتعبير) قال ظن وحسبان لا يثبت به دليل ولا برهان ولا يقوم عليه شاهد ولا تبيان علم مضعوف وصناعة مكفوف (قيل فالخط) قال قليل الردى يسير الرفد صناعة مورق وبضاعة مزوق * فهذا ما نقل عن الجاحظ في مدح العلوم وذمها (وتقول) أهل بغداد في أمثالهم جهل يعولني خير من علم أعوله ومن أمثالهم كف بخت خير من كر علم (وفي ذلك قيل)

وما أصنع بالعلم * اذا أعطيت بالجهل

وقال بن أبي البغل

الصعو نصفو آمنا من جهله * حبس الهزار لانه مترنم
لو كنت أجهل ما علمت لسرني * جهلي كما قد ساءني ما أعلم

وقال غيره

المال يستر كل عيب في الفتى * والمال يرفع كل نذل ساقط
فعليك بالاموال فاقصد جمعها * واضرب بكتب العلم عرض الحائط

(وكتب الى عمر ابن شبة بعض أصدقائه)

أجفاء يا ابن شبه * بعد نصح وعنبه
* ولزوم للدواوين وما يعطوك حبه

(للامام الشافعي)

اذا شئت أن تلقى عدوك راغما
وتقتله حزنا وتحرقه هما
فسام العلا وازدد من العلم انه
من زداد علما زاد حاسده غما

ليس يغني عنك عند القوم سفيان وشعبه
فالزم الجهل فان الجهل عند القوم رتبه
ودع العلم فان العلم في ذا الدهر سبه

(وقال) بعض الشعراء للقاضي بن خلاد الرامهرمزي

قل لابن خلاد اذا جئته * مستمدا في المسجد الجامع
هذا زمان ليس يحظى به * حدثنا الاعمش عن نافع

﴿باب مدح الخط والقلم﴾

(يقال) القلم أحد اللسانين وقال اقليدس القلم صانع الكلام يفرغ ما يجمعه القلب ويصوغ ما يسكبه اللب وقال أيضا الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية (وقال أفلاطون) الخط عقال العقل (وقال) جعفر بن محمد رضي الله عنهما لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم وقال المأمون لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة وقال ثمامة ما أثرته الاقلام لا تطمع في دروسه الايام وقال ابن المعتز القلم مجهز لجيوش الكلام يخدم الارادة ولا يمل الاستزادة كأنه يقبل بساط سلطان أو يفتح باب بستان (وقيل) الاقلام مطايا الاوهام فامتطوها اطرد لكم الكلام ويسهل بجريها النظام (ويقال) عقول الرجال تحت أسنة أقلامها وعن بعض الفلاسفة أنه قال صورة الخط في الابصار سواد وفي البصائر بياض (وقال مؤلف الكتاب) قد نوه الله باسم الكتابة وعظم من شأنها اذ أضافها الى نفسه جل ذكره وان لم تكن تلك الاضافة من النوع الذي يضاف الى خلقه ولا راجعة بوجه من الوجوه الى شبهه الا أنه دلنا بها على علو رتبتها وشرف منزلتها فقال عز من قائل وكتبنا له في الالواح الآية وقال تعالى جده وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس وقال سبحانه كتب الله لاغلبن أنا ورسلي وجعل جل جلاله من ملائكته كتبة سفرة وهم أرفع الخلق درجة وقال عز ذكره وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى ورسلنا لديهم يكتبون وقال جل ذكره بأيدي سفرة كرام بررة ومعلوم أنه لو لم تكتب أعمال العباد كانت محفوظة لا يتخللها خلل ولا يتداخلها نسيان ولا زلل لكنه علم عز اسمه أن نسخ الكتاب أبلغ في التحذير وأوكد في الانذار وأهيب في الصدور وأراد تعريف عباده فضيلة الخط والكتابة وأقسم عز اسمه بالآلة التي تتهيأ بها الكتابة وهي القلم فقال ن والقلم وما يسطرون كما أقسم بالاشياء الجليلة الاقدار

(لبعضهم)
ربع الكتابة من سواد مدادها
والربع حسن صناعة الكتاب
والربع من قلم تقوم بريه
ومن الكواغد رابع الاسباب

الكبيرة الاخطار فى نفوس عباده وعيون بلاده كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والارض * وذاكرت فى هذا أبا الفتح البستى فأنشد فى لنفسه

اذا افتخر الابطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب فخرا ورفعة * مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

(وفى رسالة) لمؤلف الكتاب أوردها فى كتاب النظم والنثر وحل عقد السحر للمجلس الرفيع أولها فى طريق اللغز وآخرها فى مدح القلم * ما أصم سميع أخرس بليغ ضعيف قوى مهين عزيز دقيق الجسم جليل الفعل نحيل الشخص سمين الخطاب حقير المنظر شهير المخبر صغير الجرم عظيم الجروم الخ (وقال ابن المعتز)

اذا أخذ القرطاس خلت يمينه * يفتح نورا أو ينظم جوهرا

(وقال كشاجم)

* واذا نمنمت بنانك خطا * معربا عن ملاحة وسداد
عجب الناس من بياض معان * تجتلى من سواد ذاك المداد

(وقال البستى)

ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمى هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

(لبعضهم)
لا تحسبوا أن
حسن الخطية فعنى
ولا سماحة كف
الحاتم الطائى
وانما انا محتاج
لواحدة
لنقل نقطة حرف
الخاء للطاء

(باب ذم الخط والقلم)

(قال ابن المعتز)

واحوف مشقوق كأن سنانه * اذا استعجلته الكف منقار لاقط
وقاه به قوم فقلت رويدكم * فما كاتب بالكف الا كشارط

وقال أبو العلاء المعرى لو كان فى الخط فضيلة لما حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) بعض أولاد الامراء الخط صناعة ولا تحسن الصناعة بالملوك (وقال كشاجم)

سل بى عن الايام تعرف * انى ابن دهر ليس ينصف
وبلاغتى معروفة * سهل وأخطاها التكلف
وسطور خط مونق * كالروض والبرد المفوف
والخط ليس بنافع * مالم يكن فى خط مصحف

وقال بعض الحكماء ماذا لقينا من الكتاب فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فقد بلينا به وأخذنا بحفظ فرائضه واقامة شرائطه وأما فى الآخرة فانا

نلقاه

ثلقاه منشورا بسرائرنا وخفنا بإضمائرنا وذكر الجاحظ عامة الكتاب فقال أخلاق حلوه وشمائل معسوله وثياب مغسوله وتظرف أهل الفهم ووقار أهل العلم فإذا صلوا ابنار الامتحان والاختبار وعرضوا على محك الاعتبار كانوا كالزبد يذهب جفاء أو كنبات الربيع في الصيف تحركه هيفاء الرياح لا يستندون الى وثيقة ولا يدينون بحقيقة أحقر الخلق لامانتهم وأشراهم بالثمن البخس لعهودهم ودياناتهم فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون (وقال الشاعر)

وإذا أخطأ الكتابة حظ ✽ عدمت تاؤها فصارت كآبه

(ومن مليح ماقيل في ذم الكتبة لابن عروس)

تعس الزمان لقد أتى بعجاب ✽ ومحا رسوم الظرف والآداب
وأتى بكتاب لو انطلقت يدي ✽ فيهم رددتهم الى الكتاب

✽وقوله أيضا✽

وكاتب يقرأ القرآن في سند ✽ من بعد حين وأما بعد في حين
لا يعرف الفرق في عمرو ولا عمر ✽ جهلا ولا الفرق بين السين والشين

✽ولبعض أهل العصر✽

وكاتب كتبه تذكرني القرآن حتى أطال في عجب
فاللفظ قالوا قلوبنا غلف ✽ والخط تبت يدا أبي لهب

وقال فلان قد صدأ أبهمه وتبلد طبعه وتكدر خاطره ويقال خط معوج ولفظ ملجلج

✽باب مدح الادب✽

(قال) بزرجمهر من شرف اي شيء أدرك من فاته الادب واي شيء فات من أدرك الادب وقال ابن عائشة القرشي أهل الادب هم الاكثرون وان قلوا ومحل الانس اين حلوا (وقال) خالد بن صفوان لابنه يابني الادب بهاء الملوك ورياش السوقة والناس بين هاذين فتعلمه تجد حيث تحب وقيل الادب وسيلة الى كل فضيلة وذريعة الى كل شريعة (وقلت في الكتاب المبهج) حلية الادب لا تخفى وحرمته لا تجفى وقال البريدي

ليس الفتى كل الفتى ✽ الا الفتى في أدبه
وبعض أخلاق الفتى ✽ أولى به من نسبه

وقال بعض الظاهرية لو علم الجاهلون ما الادب لايقنوا انه هو الطرب وقال حكيم لابنه يابني عز السلطان يوم لك ويوم عليك وعز المال وشيك ذهابه جدير انقطاعه وانتقاله وعز الحسب الى خمول ودثور وذبول وعز الادب راتب واصب لا يزول بزوال المال ولا يتحول بتحول السلطان ويقال من قعد به حسبه نهض به أدبه وقال ابن المعتز لست تعدم من الاديب كرما من طبعه أو تكرما من أدبه وقال

أيضا الادب صورة العقل فحسن عقلك كيف شئت

باب ذم الادب

(كان) يقال اذا كثر ادب الرجل قل خيره ومن قل خيره كثر ضيره وقال الحدوني ويروى للخليل بن احمد البصري

ما ازددت في أدبي حرفا أسر به * الا تزايدت حرفا تحته شوم
ان المقدم في حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

وقال أبو الحسن المشادي

اذا سرك أن تحظى * وان تلبس فوهيا من الخز أو الوشى * يمانيا وسوسيا
وان تصبح ذا عز * فكن علجا نبطيا وان سرك حرمان * به تصبح مقليا
فكن ذا أدب جزل * وكن مع ذاك نحويا

وقال آخر

اذا همت بشأو قلت انى قد * أدركته ادركتني حرفة الادب
لا تغبطن أديبا ماله نشب * لا خير في ادب الامع النشب

وقال بعضهم حرفة الادب حرفه * ويقال للادب حرفة لا يخلو منها اديب (وفي هذا الباب من غير هذا الكتاب لقابوس)

ولى همة فوق السماك محلها * ولكن لحظى في الحضيض نصيب
رأى الفلك الدوار سعيي فقال لى * اتسألني حظا وانت اديب *

باب مدح الشعر والشعراء

(كان) يقول الشعر ديوان العرب ومعدن حكمتها وكنز ادبها ويقال الشعر لسان الزمان والشعراء الكلام أمراء وقال بعض السلف الشعراء دنى مروءة السرى واسرى مروءة الدنى وقال آخر الشعر جزل من كلام العرب تقام به المجالس وتستنجح به الحوائج وتشفى به السخائم ويقال المدح هزة الكرام واعطاء الشاعر من بر الوالدين وقال بعضهم انصف الشعراء فان ظلامتهم تبقى وعقابهم لا يفنى وهم الحاكمون على الحكام وقال آخر الشعر الجيد هو السحر الحلال والعذب الزلال وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا وعنه عليه الصلاة والسلام أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد الا كل شئ ما خلا الله باطل وقال له النبي عليه الصلاة والسلام صدقت ثم قال وكل نعيم لا محالة زائل قال النبي عليه الصلاة والسلام كذبت نعيم الجنة لا يزول وقال بعضهم رب بيت شعر خير من بيت تبر وكان عمر رضى الله عنه لا يعرض له امر الا أنشد فيه بيت شعر وكان يقال النثر يتطاير

الشرور والشعر يبقى بقاء النقش فى الحجر (وقال آخر) الشعر صوب العقول وكلام الفحول وقيل لحمزة بن بيض من أشعر الناس قال من اذا قال اسرع واذا وصف ابدع واذا مدح رفع واذا هجا وضع (وقال دعبل) فى كتابه الموضوع فى مدح الشعراء انه لا يكذب احد الا اجتواه الناس فقالوا كذاب الا الشاعر فانه يكذب ويستحسن كذبه ويحتمل ذلك له ولا يكون عيبا عليه ثم لا يلبث ان يقال احسنت وفيه ان الرجل الملك او السوقة اذا اسلم ابنه فى الكتاب أمر معلمه ان يعلمه القرآن والشعر ويقرنه بالقرآن ليس لان الشعر كهو ولا كرامة للشعر لكنه من افضل الآداب فيأمره بتعليمه اياه لانه توصل به المجالس وتضرب فيه الامثال ونعرف به محاسن الاخلاق ومشاينها فتذم وتحمد وتهجى وتمدح واى شرف ابقى من شرف يبقى بالشعر * وفيه ان امرأ القيس كان من ابناء الملوك وكان من اهل بيته وبنى ابيه اكثر من ثلاثين ملكا فبادوا وباد ذكرهم وبقى ذكره الى القيامة وانما امسك ذكره شعره (وقال) مؤلف الكتاب واحسن ما مدح به الشعر قول ابى تمام حيث يقول

ولولا خلال سنها الشعر ما درى * بناة المعالى كيف تبنى المكارم

(واحسن منه)

أرى الشعر يحيى الجود والبأس بالذى * تبقيه أرواح له عطرات

وما المجد لولا الشعر الا معاهد * وما الناس الا أعظم نخرات

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرتجز وينشد بيت طرفة ولا يقيم وزنه

* فصل لابى بكر الخوارزمى جامع فى مدح الشعراء * ماظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم والكذب مذموم ومردود الا فيهم اذا ذموا ثلبوا واذا مدحوا اسلبوا واذا رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا أقروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم بالعقوبة يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يستحقر وشيخهم يوقر وشابهم لا يستصغر سهامهم تنفذ فى الاعراض وشهاداتهم مقبولة وان لم ينطق بها عدل ولم يشهد بها عدل وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار وبلغت ألف قنطار ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم وان صادروا الصديق لم يستوحش منهم بل ماظنك بقوم هم صيارفة أخلاق الرجال وسماسرة النقص والكمال بل ماظنك بقوم اسمهم ناطق بالفضل واسم

(ولبعضهم)
انى أرى الشعراء
أفنوا دهرهم
فى وصف كل
حبيبة وحبيب
وسواهم يحظى
بما وصفوا له
فهموكا القواد فى
الترغيب
لكن ترى القواد
يظفر بالعطا
وهمو بمقت الله
والتعذيب

صناعتهم مشتق من العدل بل ماظنك بقوم هم امراء الكلام يقصرون طويله ويطوّلون قصيره يقصرون ممدوده ويخففون ثقيله ولم لا أقول ماظنك بقوم يتبعهم الغاوون وفي كل وادٍ يهيمون ويقولون مالا يفعلون

﴿ باب ذم الشعر والشعراء ﴾

(كان) يقال الشعر رقية الشيطان ولذلك قال جرير وهو يمدح عمر بن عبد العزيز ويصف ترفعه عن استماع الشعر

رأيت رقى الشيطان لا يستفزه * وقد كان شيطاني من الجن راقيا

(وقيل) ليحيى بن خالد لم لا تقول الشعر فقال شيطانه أخبث من أن أسلطه على عقلي وقال غيره لا خير في شيء أحسنه اكذبه (وكان) أبو مسلم يقول اياكم والشعراء فانهم يدعون حليمهم ويطلبون على الكذب مثوبة وجعلا وقال غيره لا تجالس الشاعر فانه اذا غضب عليك هجاك واذا رضي عنك كذب عليك وقد وصفهم الله تعالى ومتبعيهم من رواتهم بالصفة الخاصة بهم فقال والشعراء يتبعهم الغاوون الآية وقرنهم بشر صنف من منتحلي الاباطيل وهم الكهنة فقال وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون ومن أحسن وأصدق ماذم به الشاعر قول عبد الصمد بن المعدل لابي تمام وقد قصد البصرة وشارفها

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س وكلتاهما بوجه مذال
لست تنفك طالبا لوصال * من حبيب أو راغبا في نوال
أي ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما بلغت الابيات أبا تمام قال صدق والله وأحسن وثنى عنانه عن البصرة وحلف لا يدخلها أبدا وقال أبو سعيد المخزومي

الكلب والشاعر في حالة * ياليتني لم اكن شاعرا
أما تراه باسطا كفه * يستطعم الوارد والصادرا

(ولبعضهم)

اني أرى الشعراء أفنوا دهرهم * في وصف كل حبيبة وحبيب
وسواهم يحظى بما وصفوا له * فهمو كالقواد في الترغيب
لكن ترى القواد يظفر بالعطا * وهمو بمقت الله والتكذيب

(وقال أبو سعيد الرستمي الاصبهاني)

تركت الشعر للشعراء اني * رأيت الشعر من سقط المتاع

(قيل) ان ظفر بن سعيد كان أديبا فاضلا لبيبا كتب على حاشية الكتاب هذين البيتين وأخذته غيرة الادب فقال كذب قائل هذا الشعر لقد وهم فيما شبه اذا كان

الكتاب يلقى اليه لقائط الموائد وهذا يخص بانواع الفرائد وذلك يعلم رحمة وهذا يعطى خشية وله من الفضائل ما يقرع طباع اللئيم ويهز عطاف الكريم ويستدل بصناعته على جواهر المعانى ولو قال هذين البيتين لاصاب وانصف

يمدح اقواما يرجى الغنى * وانما يمدح فى نفسه
يكذب فى المدح ويعطونه * مداوية الدين من جنسه

(باب مدح الكتب والدفاتر)

قال الجاحظ الكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا واناء شحن مزاحا وجدا ان شئت كان أعيا من باقل وان شئت كان أبلغ من سحبان وائل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت عجبت من غرائبه وان شئت ألهتك مضاحكه وان شئت أشجتك مواعظه فالكتاب نعم الظهر والعمدة ونعم الكنز والعدة ونعم الذخر والعقدة ونعم النزهة والعشرة ونعم الشغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل وهو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى لا يغريك والرفيق الذى لا يملك والمستميح الذى لا يستزيدك والجار الذى لا يستطيلك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك وهو الذى يطيعك بالليل طاعته بالنهار ويفيدك فى السفر افادته فى الحضر لا يعتل بنوم ولا يضجر ولا يعتريه كلال سهر وهو المعلم الذى اذا افتقرت اليه لم يحتقرك واذا قطعت عنه المادة والمائدة لم يقطع عنك العادة والعائدة وان هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك وان قل مالك لم يترك زيارتك (ثم قال) متى رأيت بستانا يحمل فى ردن وروضة تقلب فى حجر ينطق عن الاموات ويترجم كلام الاحياء ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك فاسق وبساكت ناطق وبحار بارد وبطبيب اعرابى وبرومى هندى وبفارسى يونانى وبقديم مولد وبميت ممتع (ثم قال) ولولا ما رسمت لنا الاوائل فى كتبها وخلدت فى عجائب حكمتها ودونت من محاسن سيرها وفننت من بدائع أثرها حتى شاهدنا ما غاب عنا وفتحنا كل مستغلق علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم ندركه الا بهم (ثم قال) ولولا الكتب المدونة والاخبار المفننة لبطل اكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الفهم (وقال مؤلف الكتاب) حدثنى صديق لى قال قرأت على شيخ كتابا فيه مذ ذهبت الحفاظ فقال ذهبت المكارم الا من الدفاتر قال وسمعت الحسن اللؤلؤى يقول غبرت أربعين عاما ماقلت ولا بت الا والكتاب موضوع على صدرى (وقال المؤلف) وكثيرا ما أذكرنى اكل الوحية وأنا انظر فى كتاب جديد وقع الى ولا أصبر عنه الى وقت فراغى من الاكل وسمعت أبا نصر سهل بن المذمال يقول كثيرا ما أفعل مثل ذلك وكان يقول

انفاق الفضة على كتب الآداب يخالف عليك ذهب الالباب (وقال) الحسن بن طباطبا العلوي في بعض الكتب الكتب حصون العقلاء اليها يلجؤن وبساتينهم بها يتنزهون وقال

اجعل جليسك دفترا في نشره * للميت من حكم العلوم نشور
وكتاب علم للاديب مؤانس * ومؤدب ومبشر ونذير
ومفيد آداب ومؤنس وحشة * واذا انفردت فصاحب وسمير

(وللمتنبي) أعز مكان في الدنا سرج سابح * وخير جليس في الزمان كتاب

(باب ذم الكتب والدفاتر)

(يقال) الكتاب علم لا يعبر معك الوادي ولا يعمر بك النادي وقيل في معناه

اني لأكره علما لا يكون معي * اذا خلوت به في جوف حمام

وقيل من تأدب من الكتاب صحف الكلام ومن تطبب منه قتل الانام ومن تنجم منه أخطأ في الايام ومن تفقه منه غير الاحكام (قال الشاعر)

ليست علومك ما حوته دفاتر * لكن علومك ما حوته صدور

(ولمؤدب لي كان في صباي أنشدني)

صاحب الكتب تراه أبدا * غير ذي فهم ولكن ذا غلط
كلما فتشته عن علمه * قال علمي يا خليلي في سفط
في كراريس جياد أحكمت * وبخط أي خط أي خط
* فاذا قلت لهات اذن * حك لحييه جميعا وامتخط

(وأنشد الجاحظ لمحمد بن بشير)

اذا لو أعي كل ما أسمع * وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعت * لقيل هو العالم المصقع
ولكن نفسي الى كل شي * من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت * ولا أنا من جمعه أشبع
ومن يك في علمه هكذا * يكن دهره القهقرى يرجع
اذا لم تكن حافظا واعيا * فجمعك للكتب لا ينفع

ثم كان قاتله الله شديد الصبابة بالعلم كثير الصيانة له (وأنشد) يونس النحوي

استودع العلم قرطاسا فضيعه * وبئس مستودع العلم القراطيس

(وللاستاذ) الطبري رسالة في آفات الكتب نظمها بعض تلامذته فقال

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب * فان للكتب آفات تفرقها
الماء يغرقها والنار تحرقها * واللص تسرقها والفار يخرقها

باب

﴿باب مدح التجارة﴾

قد ذكر الله تعالى التجارة في القرآن حيث قال يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم وقال عز اسمه وأحل الله البيع وحرم الربا وقال جل ذكره وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال النبي عليه الصلاة والسلام أطيب ما يأكل الرجل من كسبه والكسب في القرآن التجارة وقال عليه الصلاة والسلام التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وقال عليه الصلاة والسلام تسعة أعشار الرزق في التجارة وكان صلى الله عليه وسلم برهة من الدهر تاجرا وشهد سافرا وباع واشترى حاضرا ولشهرة أمره في ذلك قال المشركون مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فأوحى الله تعالى اليه وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق فأخبر جل اسمه أن الانبياء قبله قد كانت لهم تجارات وصناعات (وكان) عمر رضي الله تعالى عنه يقول ما ميتة بعد القتل في سبيل الله أحب الي من أن أموت بين شعبتي رحلي أضرب في أرض الله وأبتغي من فضل الله وكان بعض السلف يقول الاسواق موائد الله في أرضه فمن أتاها أصاب منها (وعن) مجاهد في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم يعني التجارة في الاسواق وقيل التجارة امارة والارباح توفيقات

﴿باب ذم التجارة﴾

(في) الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم لو شئت جاءت لكم أن التاجر فاجر وقال عليه السلام ما أوحى الي أن أجمع وأكون من التاجرين ولكن أوحى الي أن أسبح بحمد ربي وأكون من الساجدين وكان الضحاك يقول ما من تاجر ليس بفقيه الا أكل من الربا شيأ وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول ويل للتاجر من لا والله وبلى والله وكان علي رضي الله عنه يقول تفقه ثم اتجر فان التاجر فاجر الا من أخذ الحق وأعطاه ويروى أن ابليس لما استنظر فانظر قال الهي أين بيتي قال الحمام قال ما مصائدي قال النساء قال أين مجلسي قال السوق وكان أبو الدرداء يقول اياكم ومجالس الاسواق فانها تلغي وتلهي (وقال الحسن) الاسواق مصلحة للاموال مفسدة للدين وقيل اياكم وجيران الاغنياء وقراء الاسواق وفقهاء الرساتيق وقيل ويلهم ما أغفلهم عما أعد لهم قال الشاعر

اذا ما غضب السوقي فالحبة ترضيه

(وقال آخر)

ما التجار والسخاء وانما ✱ نبتت لحومهم على القيراط

(وقال ابن الرومي)

رب أطلق يدي في كل شيخ ✱ ذي رياء بسمته وسكونه

تاجر فاجر جموع منوع * يرهق الناس باقتضاء ديونه

وقال كلوا مال التجار وسوّفوهم الى وقت فانهم اثام وليس عليكم فى ذلك اثم فان جميع ما جمعوا حرام وقال عكرمة أشهد على كل وزان وكيال بالنار وفى الخبر اياكم والاسواق فان الشيطان قد باض فيها وفرخ وقال بعض الاشراف لصديق له لاتسلم ابنك فى شئ من أنواع الكسب فانها تورث لامحالة لؤم الطبع وظلمة القلب وقصور الهمة وعى اللسان وسوء الادب ولبعضهم

قد ترى يا ابن أبى اسحق فى ودك عهده

وكذا السوق للاخوان سوى المودة

باب مدح الضياع

(حدث) هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال التمسوا الرزق فى خبايا الارض وكان عروة يقول أزرع أما لك أرض أما سمعت قول القائل

أقول لعبد الله لما لقيته * يسير بأعلى الرقمتين مشرفا

تتبع خبايا الارض وادع مليكها * لعلك يوما أن تجاب وترزقا

وقال بعض السلف من أراد أن يتوسع فى الرزق فليقتن مع تجارة له ضيعة الا ترى أن الله تعالى قد قرن بينهما فى كتابه فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض وقيل لسفيان بن عيينة ما بال الرجل يبيع الضيعة فلا يبارك له فى ثمنها فقال أما سمعتم قوله تعالى فى وصف الارض وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فكيف يبارك فى ثمن يزيل عن ملكه شيأ قد بارك الله فيه (وفى الخبر) من باع عقارا ولم يصرف ثمنه فى مثله كان كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف وقال اسمعيل بن صبيح لصديق له اتخذ لك ضيعة تعينك اذا جاءتك الاخوان (وقيل)

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا * ندمت على التفريط فى زمن البذر

وفى الكتاب المبهج ملاك المعيشة فى الفلاحة ولا ضيعة على من له ضيعة (وفيه) قص جناح المال الطيار باعتقار العقار (وفيه) ليس بحازم من باع العقار وابتاع العقار وشرى الماء واشترى الاماء (وعن) أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال ان قامت القيامة وفى يدك فسيلة فاغرسها وروى الجاحظ باسناد له عن عبد الله بن سلام لاتدع غرس يدك لو سمعت ان الدجال خرج وقيل لعثمان بن عفان رضى الله عنه أتغرس بعد الكبر فقال لان توافينى الساعة وأنا من المصلحين خير من أن توافينى وأنا من المفسدين وقيل لابى الدرداء وهو يغرس جوزة أتغرس بعد الكبر وأنت شيخ وهى لاتطعم الا بعد عشرين سنة أو ثلاثين فقال وما على

أن يكون الاجر لي والهناء لغيري (ويقال) مر كسرى بشيخ كبير يغرس فسمله فقال أترى أن تأكل من ثمرها فقال لا ولكني وجدت أرض الله عامرة فأحببت أن لا تخرب على يدي (ويقال) ان شيخا كان يغرس شجر النارجيل وهي لا تثمر الا بعد أربعين سنة فربه كسرى وقال له أتعيش الى أن تأكل منها فقال الشيخ غرسوا وأكلنا ونغرس فيأكلون فقال كسرى زه وأمر له بأربعة آلاف درهم وكان من عادته ذلك لمن يقول له زه فقال الشيخ أيها الملك ان غرس السابقين أثمر بعد أربعين سنة وغرسنا أثمر في يومه فقال كسرى زه وأمر له بأربعة آلاف مثلها (وسئل واحد) أى المال أفضل فقال عين خرارة في أرض خوارة قيل ثم ماذا قال الراسخات في الوحل المطعمات في المحل الملقحات بالفحل يريد بها النخل وقال الشاعر

استغن أومت ولا يغررك ذو نسب * من ابن عم ولا عم ولا خال
اني ركبت على الزوراء أعمرها * ان الحبيب الى الاخوان ذو مال
كل النداء اذا ناديت يخذلني * الا ندائي اذا ناديت يا مالي

(وقلت في المبهج) اذا ما فقل الدهقا * ن غلات الرساتيق
فكم من نعمة بيضاء * في سود الجواليق

(وقلت أيضا) يارب أنت وهبتها لي نعمة * أضحت تدين على الزمان ببرها
ووهبت منها نعمة لا تلهني * يارب انت بسكرها عن شكرها

* باب ذم الضياع *

(قلت في المبهج) الضيعة ضائعة مالم تدبرها بقوة ساعد وجد مساعد وفيه الضياع مدارج الغموم ومتاعب وكلائها سفاتج الهموم (وقلت) في رقعة الى وكيل أجيبه بها

يارقعة طويت على حيات * وعقارب كدرن ماء حياتي
ما أنت الا من تباريح الجوى * وسفاتج الاحزان والحسرات
وكأن أحرفك الكريهة أعين * لرواقب أو ألسن لوشاة
أوكالضياع رقاع قيمتها اذا * وافت أتت بحوادث الآفات

(وقلت أيضا) قد قلت قولا سديدا * يروى العطاش بمائه
ان الخراج خراج * دواؤه في أدائه

وهو منظوم من قول الصاحب حيث قال الخراج خراج دواؤه في ادائه وذكرت الضياع وحلالتها ونوائبها بحضرة أبي العباس احمد بن محمد بن الفرات فأنشدني

هي المال الا أن فيها مذلة * فمن شاء قاساها ومن مل باعها

وقال أبو زكريا يحيى بن اسماعيل الحربي لابن محمد السلمي

قد كانت الضيعة فيما مضى * تعد من عليكها ذا هبه

فصارمن علكها يومنا * مهجته فى حفظها ذاهبه
يستغرق الغلة فى ترجها * وتفضل الكلفة والنائبه
فان يقم صاحبها كل ذا * يخبو والا تنفوا شاربه

باب مدح الدور والابنية

كان يقال جنة الرجل داره وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر يابنى دارك قميصك فوسعه كيف شئت وذكر الاحنف الدور فقال لتسكن اول ما يشترى وآخر ما يباع وقيل لبعض الناس ما السرور فقال دار قوراء وامراة حسناء وفرس مرتبط بالفناء (وينشد)

ومن المروأة للفتى * ماعاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره

وكان يقال دار الرجل عشه وفيها يطيب عيشه وقال السلمى فى كتابه تتخذ الظرف الدور للناس كالعش للطير والاوجرة للوحش والجحر للحشرات ودار الرجل مأوى نفسه وموضع أمنه ومسكن قلبه ومجمع أهله وشعر زملكه ومأنس ضيفه وملتقى صديقه وعدوه فلاشئ أصعب على الناس من خروجهم من ديارهم وقد قرن الله تعالى الخروج منها بالقتل حيث قال ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم اواخرجوا من دياركم ما فعلوه الاقليل منهم (وقال) المتوكل لابى العيناء كيف ترى دارنا هذه فقال يا أمير المؤمنين رأيت الناس يبنون الدور فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك وقال بعض الاشراف لابنه يابنى حسن أثرك فى هذه الدنيا بالبناء الحسن واسمع قول الشاعر ليس الفتى بالذى لايستضاء به * ولايكون له فى الارض آثار ولاتنس قول الآخر

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

(ومن أحسن ماقيل فى بناء الملوك قول على بن الجهم)

ومازلت اسمع ان الملو * ك تبنى على قدر أخطارها
فلما رأيت بناء الاما * م رأيت الخلافة فى دارها

وكان جعفر بن سليمان الهاشمى يقول العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة ودارى عين المربد * ومن احسن ماسمع فى التهنئة بالدور قول ابى القاسم الزعفرانى فى الصاحب

سرك الله بالبناء الجديد * نلت حال الشكور للتزيد
هذه الدار جنة الخلد فى الدنيا فصلها واختمها بالخلود

ولمؤلف الكتاب فى الاخشيد بجرجانية

وقصر ملك ترى كل الجمال به * واسعد الدهر تبدو من جوانبه

كأنه جنة الفردوس قد نزلت * الى خوارزم تجملا لصاحبه

* باب ذم الدور والابنية *

فارق النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة وكان عليه السلام يقول اذا أراد الله بعبد سوأ جعل ماله في الطين والماء وعنه ايضا عليه السلام انه قال اراد الله بعبد شرا أهلك ماله في اللبن والطين وقال وهب بن منبه في الحديث القدسي قال الله عز وجل من استغنى بأموال الفقراء افقرته ومن تجبر على الضعفاء اذللته ومن بنى بقوة الفقراء اعقبت بناءه الخراب (وقال وهب بن الورد) كان نوح عليه السلام اتخذ بيتا من خص فقيل له لو بنيت بناء فقال هذا لمن يموت كثير وقال ابن مسعود يأتي بعدكم اقوام يرفعون الطين ويضعون الدين ويمتطون البراذين ويصلون الى قبلتكم ويموتون على غير ملتكم وقيل ليزيد بن المهلب لم لا تبني دارا بالبصرة فقال لاني لا ادخلها الا اميرا او اسيرا فان كنت اميرا فدار الامارة داري وان كنت اسيرا فالسجن مسكني وقراري (وكان يقال) البناء من يوم ابتدائه في نقصان والغرس من يوم ابتدائه في زيادة * ومر بعض الخوارج على دار تبنى فقال من هذا الذي يقيم كفيلا (وقيل) الدار الضيقة العمى الاصغر * ومن احسن ما قيل في التبرم بالعمارة قول بعضهم

ألا من لنفس واحزانها * ودار تداعت بحيطانها
أظل نهاري في شمسها * شقيا باتقاء بنيانها
اسود وجهي بتبييضها * واهدم كيسي بعمرانها

* باب مدح الحمام *

قال بعض السلف نعم البيت بيت الحمام ينقي الاقذار ويذكر النار وذكر الحمام عند الفضل الرقاشي فقال نعم البيت بيت الحمام يذهب القشافة ويعقب النظافة ويحشي النغمة ويطيب البشرة (وقلت في المبهج) الحمام صقيل الاجسام ونظام النظافة ودافع آفة القشافة ولم يمدح الحمام كما مدحه السري حيث قال

بيت بنته حكماء الورى * فهو الى الحكمة منسوب
مجاور النار ولكنه * يجاور النار به الطيب
حر هو الروح لأجسامنا * والحر للاجسام تعذيب

(ولبعضهم) وقد دعا صديقا الى الحمام وأظنه للسري أيضا

أسعيد هل لك في زيارة منزل * تثني عليه جوارح الزوار
بيت ترى الجدران فيه منابعا * وترى السماء كثيرة الاقمار

(ولآخر يمدحه)

قم بنا قبل غرة الاصباح * وقيام السقاة بالاقداح
نتمشى الى النعيم الذى فيه صلاح الاجسام والارواح
بيت ظرف تحول عيناك فيه * بين بيض الطلا وبيض القفاح
وتلاقى الجسوم فى خلع منه رقاق على الجسوم ملاح
فاذا ما صقلت جسمك فيه * يا كف النعيم صقل الصفاح
تتروى من الصبوح وتقتض نسيم الرياح قبل الصباح

وللمؤلف فى المبهج

* وحمام له حر الجحيم * ولكن شابه برد النعيم
رأيت به ثوابا فى عقاب * وزارت به نعيما فى جحيم

ولابى طالب المأمونى رحمه الله

أحق بيت من بيوت الورى * بصونه قدما وايثاره
* بيت اذا ما زاره زائر * وقد قضى أعظم أوطاره
وهو اذا ما جاء مستنظفا * مروءة الانسان فى داره
يدخله المولى بخزكما * يدخله العبد بأطماره

(وله)

وبيت كاحشاء المحب دخلته * ومالى ثياب فيه غير اهابى
أرى عرمانيه وليس بكعبة * فما ساغ الا فيه خلع ثيابى
بماء كدمع الصب فى حر قلبه * اذا آذنت أحبابه بذهاب
توهمت فيه قطعة من جهنم * ولكنها من غير مس عقاب
يشير ضبابا بالبخار محللا * بدور زجاج فى شموس قباب

باب ذم الحمام

قال بعض السلف بئس البيت الحمام يكشف عن العورة ويذهب بالحياء وفى الخبر ان الحمام من بيوت الشياطين (ولما) مدح الرقاشى الحمام بمائة ذم قيل له ذمه فقال بئس البيت بيت الحمام يهتك الاستار ويذهب الوقار ويؤلف الى الاطباب الاقذار *ومن ابلغ ما قيل فى ذمه قول ابن المعتز حمامنا كالعجوز * يشقى به الوارد
بيت له منتن * بيت له بارد *

وقوله ماتلت بالحمام حراولا * يصلح فيه غير تبريد ما
وجدت بالصيف به رعدة * فكيف أرجو عرقا فى الشتا

(ولبعضهم)
وفاتن الناس فى الحمام تحسبه
على تثنيه أغصنا زاق منظره
مدلل شعره كالليل أسبله
على قضيب من البلور يستره
ياليتنى الناظرى فى معاطفه
أو ليت أنى فى الحمام مئزره

(ولآخر فى مليح دخل الحمام)
وحمام رأيت به غزالا
أكبدر التم فى غصن قويم
فقلت تعجبوا من صنع ربى
رأيت الحور فى وسط الجحيم

(ولبعضهم) وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيه المجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا
(والصنوبري) حمامنا اليس فيه ماء * وبرده ماله انقضاء *
ماينفع القطن فيه شيأ * ولا اللبابيد والفراء
ترعد في الصيف فيه بردا * فصيف حمامنا شتاء
فلم نرده لدفع داء * هل يدفع الداء وهو داء

* باب مدح المال *

قد مدح الله المال وسماه خيرا بقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا أي مالا وبقوله وانه لحب الخير لشديد أي المال (وروى) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه كان يقول حبذا المال أصون به عرضي واقرضه ربي فيضاعفه لي يريد قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة (وروى) السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز اسمه ويزدكم قوة الى قوتكم أي مالا الى مالكم وكان رضي الله عنه يقول قد يشرف الوضيع بالمال (ويقال) المال تكسب أهله المحبة لا مجد الا بمال ولا مجد الا بفعال (وقيل) الآمال مشغولة بالأموال (وقال) الشاعر

كل النداء اذا ناديت يخذلني * الا ندائي اذا ناديت يامالي

ولابي العتاهية

قد بلونا الناس في أحوالهم * فرأيناهم لذي المال تبع

(وقال آخر)

شيئان لا تحسن الدنيا بغيرهما * المال يصلح منه الحال والولد
زين الحياة هما لو كان غيرهما * كان الكتاب به من ربنا يرد

يعني قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا (وكان) يقال أصل السودد والرياسة المال وبه تستجمع أسبابها وتطرد أحوالها وقد انقاد الناس حديثا وقديما للغني ولذلك حكى الله تعالى في أمر طالوت عن ملكه عليهم فقال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال (وقلت) في المبهج لا موئل كالمال (وفيه) القلوب لا تستمال بمثل المال والعرض هو العرض (وفيه) مال الرجل موئله وقوته وقوته (وفيه) من أصلح ماله فقد حصل نقاء العرض وحصن بقاء العز

(ولبعضهم)
اذا كنت تسعى
للزيادة فاستقم
تنل المراد ولو سموت
الى السماء
ألف الكتابة وهو
بعض حروفها
لما استقام على
الجميع تقدما

﴿باب ذم المال﴾

قال الله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة (ويقال) المال ملول والمال ميال والمال غادورائح وطبع المال كطبع الصبي لا يوقف على رضاه وسخطه (وقيل) المال لا ينفعك مالم يفارقك (وقيل) قد يكون مال المرء سبب حتفه كما ان الطاوس قد يذبح لحسن ريشه * ومن أحسن ماقيل في هذا المعنى قول ابن المعتز

ألم تر أن المال يهلك ربه * اذا جم آتيه وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير بجسمه * وسد طريق الماء فهو غريقه

﴿باب مدح الغنى﴾

(قلت في المبهج) لو لم يكن في الغنى الا أنه من صفات الله لكفى به فضلا * ومن أبلغ ماقيل فيه أي في مدح الغنى وتفضيله على النسب قول ابن المعتز

اذا كنت ذا ثروة من غنى * فأنت المسود في العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر انك من آدم

(وينشد لابي الاسود الدؤلي في حارثة بن بدر)

وتاه تميم بالغنى ان للغنى * لسانا به رب المهانة ينطق

(وقال غيره) ألم تر ان الفقر يهجر بيته * وبيت الغني يهدى له ويزار

(وقلت في المبهج) الغني مجل مبجل والفقير مذل مبتذل

﴿باب ذم الغنى﴾

(قال) الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وقال عز ذكره انما أموالكم أولادكم فتنة وقال تعالى واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقال بعض المفسرين في قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ماجددوا لله معصية الا جدد لهم نعمة ليستدرجهم بها (وقال) بعض الحكماء الغنى يورث البطر (ويقال) غنى النفس أفضل من غنى المال (وقال) الشاعر

غنى النفس ماعمرت غنى * وفقر النفس ماعمرت شقاء

﴿وقال محمود بن الوراق﴾

لاتشعرن قلبك حب الغنى * ان من العصمة أن لاتجد
كم واجد أطلق وجدانه * عنانه في بعض مالم يرد
ومدمن للخمر غادالى * سماع عود وغناء غرد
لو لم يجد خمرا ولا مسمعا * برد بالماء غليل الكبد
وكم يد للفقر عند امرئ * طأطأ منه الفقر حتى اقتصد

﴿باب مدح الفقر﴾

كان يقال الفقر شعار الصالحين (ويقال) الفقر لباس الانبياء (وفيه) يقول البحترى
فقر كفقر الانبياء وغربة ❊ وصبابة ليس البلاء بواحد
وكان يقال الفقر مخف والغنى مثقل (ويقال) الفقر أخف ظهرا وأقل عددا (وكان) سفيان الثورى يقول الصبر على الفقر يعدل الجهاد فى سبيل الله تعالى

﴿ومن أحسن ما قيل فى مدح الفقر قول أبى العتاهية﴾

ألم تر ان الفقر يرجى له الغنى ❊ وأن الغنى يخشى عليه من الفقر
وقال محمود الوراق
يا عائب الفقر ألا تنزجر ❊ عيب الغنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله ❊ على الغنى لو صح منك النظر
أنك تدعو الله تبغى الغنى ❊ ولست تدعو الله ان تفتقر

﴿باب ذم الفقر﴾

كان يقال الفقر مجمع العيوب (ويقال) الفقر كنز البلاء (ويقال) الفقر هو الموت الاحمر (وقال) النبى عليه السلام كاد الفقر أن يكون كفرا (وكان) سعيد بن عبد العزيز يقول ما ضرب العباد بسوط أوجع من الفقر (ومن) فصول ابن المعتز لا أدرى ايهما أمر موت الغنى ام حياة الفقير (وقلت) فى المبهج لا فاقرة كالفقر (وفيه) الفقر فى الاذن وقر وفى الكبد عقر وفى القلب نقر وفى الجوف بقر (وينشد) لبعضهم
اذا قل مال المرء قل حياؤه ❊ وضاقت عليه ارضه وسماؤه
واصبح لا يدرى وان كان حازما ❊ اقدامه خير له ام وراؤه
وقال صالح بن عبد القدوس
بلوت امور الناس سبعين حجة ❊ وجربت صرف الدهر فى العسر واليسر
فلم ار بعد الدين خيرا من الغنى ❊ ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر
وقال ابو احمد اليمامى
غالبت كل شديدة فغلبتها ❊ والفقر غالبنى فأصبح غالبى
ان ابده أفضح وان لم ابده ❊ أقتل فقبح وجهه من صاحب

﴿باب مدح القناعة﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة هى القناعة وقال بعض الحكماء لابنه يا بنى العبد حر اذا قنع والحر عبد اذا طمع (وكان) يقال أذت العزيز ما التحفت بالقناعة وقيل القانع بما قسم الله فى حدائق النعيم (ويقال)

أخفض الخفض رضا المرء بحظه (وقال بعضهم) من لم يقنع بالقليل لم يكتف بالكثير ومن فصول ابن المعتز أعرف الناس بالله من رضي بما قسم له (وقال غيره) من قنع بماله استراح وأراح (وقال أبو العتاهية)

ان كان لا يغنيك ما يكفيكا * فكل ما في الارض لا يغنيكا

وقال أيضا قنع النفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق ما يكفيها

(ولغيره) اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

ومن طلب العليا من العيش لم يزل * حقيرا وفي الدنيا أسير غبونها

(وقال غيره) اذا ما شئت أن تحيا * حياة حلوة المحيا

فلا تحسد ولا تحقد * ولا تأسف على الدنيا

﴿باب ذم القناعة﴾

(قال) بعض المهالبة من اتخذ القناعة صناعة فليعف بالخمول وفاته معالي الامور (وقال) آخر القناعة من اخلاق العجائز والزمن العاجز (ويقال) البركات حيث الحركات (وقال) حكيم لابنه يابني ان القناعة من صغر النفس وقصر الهمة وضعف الغريزة ولؤم النحيزة فلا ترض لنفسك الاكل غاية (وقال) الرافعي من قصيدة له

رأت عزماتي وفرط انكماشي * وطول التململ فوق الفراش

فقالت أراك أخا همة * ستبلغها فترى ذا انتعاش

فهلا قنعت ولا تغترب * فقلت القناعة طبع المواشي

(وقال) رجل لمعروف الكرخي رحمه الله أأتحرك في طلب الرزق ام أجري في طريق القناعة فقال تحرك فان الله قال لمريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ولو شاء الله أن ينزله عليها من غير أن تسعى في هز النخلة لفعل وقد نظم هذا المعنى من قال

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

﴿باب مدح القلة﴾

سمع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول اللهم اجعلني من الاقلين فقال ما هذا الدعاء فقال سمعت الله يقول وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور وما آمن معه الا قليل (وقال) بعض العلماء ان الكثرة ليست بممدوحة في كتاب الله عز وجل وانما الممدوح الاقلون لانا سمعنا الله يثني على أهل القلة ويمدحهم ويذم اهل الكثرة ويوبخهم حيث يقول عز من قائل ثم توليتم الا قليلا منكم ويقول فشربوا منه

الاقليلا منهم ويقول لا تبعتم الشيطان الاقليلا ويقول جل ذكره حكاية عن ابليس لاحتنكن ذريته الاقليلا ويقول جل جلاله في ذم الكثرة ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا ويقول بل أكثرهم لا يؤمنون ويقول ولكن أكثر الناس لا يشكرون ويقول منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ويقول وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت ويقول وأكثرهم لا يعقلون ولكن اكثرهم يجهلون ويقول ولكن اكثرهم للحق كارهون ويقول وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين (وقال الشاعر)

تعيرنا أنا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وقالت الفلاسفة كل كثير عدو للطبيعة وقالت الاطباء الاقلال مما يضر خير من الاكثار مما ينفع (وقال اسحق الموصلي)

هل الى نظرة اليك سبيل * فيروى الظما ويشفى الغليل

ان ما قل منك يكثر عندي * وكثير من الحبيب القليل

(وقال) جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه لا تستحي من اعطاء القليل فكل فوائد الدنيا قليل والحرمان أقل منه (وقال) الشاعر

ليس العطاء من الفضول سماحة * حتى تجود وما لديك قليل

باب ذم القلة

(كان) يقال الذلة في القلة والشرف في السرف (وكان) قيس بن سعد بن عبادة يقول اللهم انك تعلم أن القليل لا يسعني ولا أسعه فانزل لي ووسع علي (وقال) منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل

ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

(وقال) سري الموصلي

قبلت على الرغم نيل البخيل * وقلت قليل أتى من قليل

تعجبت لما ابتدى بالجميل * وما كان يعرف فعل الجميل

وما كان اعطاؤه سوددا * ولكنه غلطة من بخيل

(ويقال) من قل ذل ومن بز عز (وقال) النبي عليه السلام كونوا من السواد الاعظم

باب مدح اللسان

(كان) يقال ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو ضالة مهملة أو بهيمة مرسلة (وقال) بعض الحكماء المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل

بجنان (وقال) الجاحظ اللسان أداة يظهر به البيان وشاهد يعبر عن الضمير وحاكم يفصل بين الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهى عن القبيح ومبشر ترد به الاحزان ومعتذر تذهب به الاضغان ومله يونق الاسماع وزارع يحرث المودة وحاصد يستأصل العداوة وشاكر يستوجب المزيد ومؤنس يسلي الوحشة (ويقال) المرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه (وقال) بعض العلماء البلغاء للسان فضائل معدومة في الجوارح ودرجته عالية على درجاتها لما خصه الله به من النطق والبيان وأنطقه بالذكر والقرآن وأنشد

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم
فكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه في التكلم

(ومن أحسن ما قيل في اللسن والبراعة قول ابراهيم بن شاه في أبي مسلم)

لسان محمد امضى غرارا * وأنفذ من ظبا السيف الحسام
اذا ارتجل الكلام بدا خليج * بفيه يمده بحر الكلام
كلام بل مدام بل نظام * من الياقوت بل حب الغمام

(وقال آخر) وما المرء الا أصغريه لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور
فان نظرة راقتك فاحذر فربما * أمر مذاق العود والعود أخضر

(اعلم) ان كمال العالم هو الانسان وكمال الانسان هو اللسان وجماله هو البيان (نظر) رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه العباس رضي الله عنه فتبسم فقال له مم ضحكت يا رسول الله فقال أعجبني جمالك يا عم فقال أين موضع الجمال مني فاشار الى لسانه وقال أيضا عليه الصلاة والسلام جمال الرجل فصاحة لسانه

باب ذم اللسان

(كان) يقال مقتل الرجل بين فكيه وقال بعض البلغاء اللسان اجرح جوارح الانسان وقال آخر اللسان سبع صغير الجرم كبير الجرم (وكان) ابن مسعود رضي الله عنه يقول والذي لا اله الا هو ما على الارض شئ أحق بطول السجن من اللسان (قال) بعض العرب لرجل وهو يعظه في حفظ اللسان اياك أن يضرب لسانك عنقك وقد قيل احذر لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الفرسان

وقال أبو محمد بن اليزيدي

حتف الفتى لسانه * في جده ولعبه * بين اللهات مسكنه * ركب في مركبه

وقال آخر جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

(وقال ابن المعتز) أيا رب ألسنة كالسيوف * تقطع أعناق أصحابها
وكم قد دهى المرء من نفسه * فلا تؤكلن بأنيابها

ومن أبلغ ما قيل في عي اللسان قول بعضهم

ومن فكه لسان * ينسب العي اليه
فاذا حاول قولا * عسر القول لديه
وسواء هو فيه * أو حسام في يديه

باب مدح الصمت

من حكم لقمان رحمة الله عليه الصمت حكمة وقليل فاعله (وكان) يقال الصمت أنفع للناس والسكون أنفع للطير لان الطير اذا نبس قبض وحبس (وقال) بعض السلف الندم على الصمت خير من الندم على القول * ومن فصول ابن المعتز من أخافه الكلام أجاره الصمت وقال أيضا الخطأ بالصمت يختم والخطل عثله لا يكتم (وقال آخر)

الصمت يكسب أهله * صدق المودة والمحبه
والقول يستدعي لصا * حبه المذمة والمسبه
فاترك كلاما لاغيا * ولا يكن لك فيه رغبه

(وقيل) أربع كلمات صدرت عن أربعة ملوك كأنما رميت عن قوس واحدة * قال كسرى لم أندم على ما لم أقل وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر اني على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت * وقال ملك الصين اذا تكلمت بكلمة ملكتني واذا لم أتكلم بها ملكتها * وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان رفعت ضرته وان لم ترفع ما نفعته * ويقال من سكت فسلم كان كمن تكلم فغنم (وقال) من علامات العاقل حسن سمته وطول صمته (وقال) بعض الحكماء أول العلم الصمت والثاني حسن الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل به والخامس نشره وقيل من حفظ لسانه نجا من الشر كله (نظم)

ولو يكون القول في القياس * من فضة بيضاء عند الناس
اذا لكان الصمت من خير الذهب * فاسمع هداك الله تلخيص الادب

(وقال آخر) والصمت عند القبيح تسمعه * صاحب صدق لكل مصطحب
فآثر الصمت ما استطعت فقد * يؤثر قول الحكيم في الكتب
لو كان بعض الكلام من ورق * لكان جل السكوت من ذهب

(وقال آخر) مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
انما العاقل من ألجم فاه بلجام

(وفي كتاب عيون الآداب بيت)

كلام راعى الكلام قوت * قد أفلح الصامت السكوت

(وقال) ابن مسعود ما شئ أحق بطول السجن من لسان (وقال) بعضهم اذا أعجبك الكلام فاصمت وقيل

احفظ لسانك ان اللسان * سريع الى المرء فى قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

(وقال آخر) ان كان يعجبك السكوت فانه * قد كان يعجب قبلك الاخيارا
ولئن ندمت على سكوت مرة * فلقد ندمت على الكلام مرارا
ان السكوت سلامة ولربما * زرع الكلام عداوة وضرارا

* باب ذم الصمت *

قال رجل بين يدى عمر رضى الله عنه الصمت مفتاح السلامة فقال نعم ولكنه قفل الفهم وكان يقال من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن (وقال) بعض الفلاسفة الصمت نتيجة الموت كما أن المنطق نتيجة الحياة (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم تكلموا تعرفوا ولم يقل اسكتوا تعرفوا (وقال) الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام وعن الملك فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين ولم يقل فلما سكت عنده (وقال آخر) أخزى الله المساكتة فما أسوأ أثرها على اللسان وأجلبها للعى والحصر الى الانسان (وقال) بعض الحكماء انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر به عن شئ فهو أفضل ويقال اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرن

* باب مدح الصبر *

قال النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤت الناس خيرا من الصبر والمعافاة (وقال) أيضا عليه السلام لم تزل تستريد للصابرين حتى تراث انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وقال) عليه السلام عليكم بالصبر فانه لا ايمان لمن لا صبر له (وقال) أيضا الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية شعر

تصبر ولا تبد التضعضع للعدا * ولو قطعت فى الجسم منك البواتر
سرور الاعادى ان تراك مذلة * ولكنها تغتم اذا أنت صابر

* ولبعضهم *

بنى الله للاخيار بيتا سماؤه * هموم وأحزان وحيطانه الضر
وأدخلهم فيه وأغلق بابه * وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

* وكان ينشد *

اني وجدت وخير القول أصدقه * للصـــبر عاقبـــة محمودة الاثر
وقل من جـــد في أمر يحاوله * فاستصحب الصبر الافاز بالظفر

(وقال آخر)

عليك بالصبر فيما قد منيت به * فالصبر يذهب ما في الصدر من حرج
كم ليلة من غموم الدهر مظلمة * قد ضاء من بعـد ها صبح من الفرج

(وقال آخر)

تصـــبر اذا ما آلمتك ملمـة * واهون بها ما لم تسمك بعار
فعقب تطوب النفس بشر سعادة * وبعد ظلام الليل نور نهار

وفي بعض الاخبار الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقال آخر

اذا المرء لم يأخذ من الصبر حظه * تقطع من أسبابه كل مبرم

ويقال اوكد الاسباب للظفر الصبر (وقال) بعض العلماء الصـبر جنة المؤمن وعزيمـة المتوكل وسبب درك النجح في الحوائج ويقال من وطن نفسه على الصـبر لم يجد للاذى مسا (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من استعف بالله عفه ومن استعان به أعانه ولن تجدوا حظا خيرا من الصبر

(وقال الشاعر)

قرين الصبر يظفر بعد حين * بحاجته فيوجـد قد قضاها

(وقال) المهلب يا بني ان غلبتم على الظفر فلا تغلبوا على الصبر

(وقال آخر) من يمتط الصبر يضع رحله * بساحة الراحة واليسر

(وقال محمود)

الصبر أمضى سلاح ذي الادب * فاقمع به حـــد سورة الارب

(وقال) الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (وقال) عز اسمه وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (وقال) عز من قائل وبشر الصابرين الآية وكان الحسن البصري يقول اني لاعجب ممن خف كيف خف بعد هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا (وقال) عمر بن عبـد العزيز ما انعم الله على عبد نعمة فنزعها عنه فصبر الا كان ما عوضه افضل مما انتزعه عنـه ثم قرأ انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب (وقال) بعض الحكماء الصـبر صبران صبر عما تحب وصبر على ما تكره والرجل من جمع بينهما * وقلت في المهيع الصبر المجي بذي الاثج (وقال) حكيم تابع الصبر متبوع النصر (وقال الشاعر)

ما احسن الصبر في مواطنه * والصبر في كل موطن حسن

(لبعضهم)

قائل قال لي لابد من فرج
فقلت للغيظ كم لابد من فرج
فقال لي بعد حين
قلت واعجبي من يضمن العمر لي
يا بارد الحجج

(وقال ابن الجهم)

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وافضل اخلاق الرجال التفضل

ويقال الصبر كاسمه وعاقبته العسل

﴿باب ذم الصبر﴾

الصبر كاسمه ويقال الصبر تجرع لغصة وانتظار الفرصة وانشد

وانى لادرى ان فى الصبر راحة * ولكن انفاقى على الصبر من عمرى

يقولون لى صبرا لتحمد غبه * فقلت لهم ليس الصبر من امرى

(وقال البرقعى)

من حدا الصبر وحالاته * فلست بالحامد للصبر

كم جرعة للصبر جرعتها * امر فى الذوق من الصبر

صبرت حتى قيل لى جاهل * لا يعرف الخير من الشر

انى اذا الدهر نبا نبوة * اصبر للدهر من الدهر

وقال ابو القاسم بن علاء الاصفهانى

فان قيل لى صبرا فلا صبر للذى * غدا بيد الايام تقتله صبرا

وان قيل لى عذرا فوالله ما ارى * لمن ملك الدنيا اذا لم يجد عذرا

﴿باب مدح الحلم﴾

كان يقال الحلم حجاب الآفات (وقال) حكيم حلم ساعة يرد سبعين آفه (وقال) بعض السلف الحلم اجل من العقل لان الله تعالى وصف نفسه به وقيل حسب الحليم ان الناس انصاره على الجاهل ومن ملك غضبه احترز من عدوه (وقال) الحسن رحمه الله عليه ما بعث الله نبيا الى قوم الا بعثه وامره بالحلم وكان الاحنف يقول ما ضم شئ الى شئ احسن من علم الى حلم (وكان) يقول من لم يصبر على كلمة واحدة سمع كلمات

(ومن احسن ما قيل فى الحلم قول الشاعر)

لن يبلغ المجد اقوام وان كرموا * حتى يذلوا وان عزوا لاقوام

ويشتموا فترى الالوان مشرقة * لا عفو ذل ولكن عفو احلام

﴿باب ذم الحلم﴾

كان يقال من عرف بالحلم كثرت الجراءة عليه (وقال) بعض السلف الحلم ذل كله (وقال) السفاح اذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة وقال الشاعر

ارى الحلم فى بعض المواطن ذلة * وفى بعضها عز يسود فاعله

وقاتل الاحنف قتالا شديدا فى بعض المواطن فقيل له اين الحلم يا ابا بحر فقال عند

الحياء وكان يقال آفة الحلم الضعف * ومن احسن ما قيل في هذا الباب قول النابغة الجعدي

ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * اديب اذا ما اورد الامر اصدرا

(وقال محمد بن وهب)

لئن كنت محتاجا الى الحلم انني * الى الجهل في بعض الاحايين احوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم * ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فاني مقوم * ومن رام تعويجي فاني معوج *

(واحسن ما سمعت في هذا الباب ما قيل)

اتاني منك ما ليس * على مكروهه صبر * فاغضيت على عمد * وقد يغضي الفتى الحر
وادبتك بالهجر * فما ادبك الهجر * ولا ردك عما كا * ن منك الصفح والزجر
فلما ضطرني المكرو * ه واشتد بي الامر * تناولتك من سري * بما ليس له قدر
فحركت جناح الذل لما مسك الضر * اذا لم يصلح الخير امرأ أصلحه الشر

قد شذ في الاصل منه بيت قال الشيخ الامام البيت الاخير من قول الحسن وهو انه قيل له ان عند باب رجلا اذا قيل له جزاك الله خيرا يغضب فقال من لا يصلحه الخير اصلحه الشر

* باب مدح المشورة *

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المستشار بالخيار ان شاء قال وان شاء سكت (وقال) عليه الصلاة والسلام ايضا المستشار مؤتمن (وقال) الحسن البصري ان الله تعالى امر نبيه عليه السلام بالمشورة لا من حاجة منه الى آرائهم وانما اراد عز اسمه ان يعلمنا ما في المشورة من الفضيلة حيث قال وشاورهم في الامر يعني ان الانسان لا يستغني عن مشورة نصيح له كما ان القوادم من ريش الجناح تستعين بالخوافي منه

(قال بشار) اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن * بحزم نصيح او نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافي تابع للقوادم

(قال الاصمعي) قلت لبشار رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المشورة فقال أوما علمت أن المشاور بين احدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته او خطأ يشارك في مكروهه فقلت له أنت والله في هذا الكلام أشعر منك في شعرك (وقال) الجاحظ المشورة لقاح العقول ورائد الصواب والمستشير على طرف النجاح واستنارة المرء برأي أخيه من عزم الامور وحزم التدبير وقد أمر الله تعالى أكمل الخلق لبا وأولاهم بالاصابة عزما فقال لرسوله الكريم عليه السلام في كتابه الكريم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله (وقال) حكيم اذا شاورت العاقل صار عقله لك * ويقال

أول الحزم المشورة (وقال) العتابي المشورة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه (وقال) ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب لغيرك (وقال) أيضا من اكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا وقلت في البهجة ثمرة رأى الاديب المشير أحلى من أرى المشور (ولبعضهم) لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا الغضبان حتى يهجع ولا الاسير حتى يطلق ولا المضل حتى يجد ولا الراغب حتى ينجح (وقال) بعض الحكماء ما خاب من استشار ولا ندم من استخار (وقال) صالح بن عبد القدوس

ومن الرجال من استوت احلامهم * من يستشار اذا استشير فيطلق
حتى يجول بكل واد قلبه * فيرى الصواب بما يشير فينطق
ان الاديب اذا تفكر لم يكد * يخفى عليه من الامور الاوفق
فهناك تشعب ما تفاقم صدعه * وبذاك ترتق كل أمر يفتق
واذا استشرت ذوى العقول نخيرهم * عند المشورة من يحن ويشفق

(وكان) يقال نصف عقلك مع أخيك فاستشره (وكان) يقال ما استنبط الصواب بمثل المشورة ولا حصنت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر (وكان) يقال لا يستقيم الملك بالشركاء ولا يستقيم الرأى بالمتفرد به (وقيل) شاور قبل ان تقدم (وقال) عبد الملك بن مروان لان اخطئ وقد استشرت أحب الى من أن اصيب وقد استبددت برأيي من غير مشورة (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام لابنه لا تقطعن أمرا حتى تشاور مرشدا فانك اذا فعلت ذلك لم تحزن عليه (وقيل) للنبي عليه الصلاة والسلام ما الحزم قال ان تستشير ذا الرأى وتطيع أمره (وقال) عليه الصلاة والسلام لم يهلك امرؤ عن مشورة (وقيل) مكتوب في التوراة من ملك استأثر ومن لم يستشر يندم والحاجة الموت الاكبر والهم نصف الهرم (وقال) الشاعر

نصحت لذى جهل وقلت لعله * ينحى له من نومه ينبهه
فاتجهت فيه النصائح مضجعا * وهل يبرئ الكهان من هو أكمه

(باب ذم المشورة)

كان عبد الملك بن صالح يقول ما استشرت أحدا قط الا تكبر على وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتني الذلة فاياك والمشاورة وان ضاقت بك المذاهب واشتبهت عليك المسارب وأداك فرط الاستبداد الى الخطأ والفساد (وكان) عبد الله بن طاهر يقول ما حك ظهري مثل ظفري ولان أخطئ مع الاستبداد ألف خطأ أحب الى من ان أرى بعين النقص عند المشتسار

(باب مدح التأني)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية يعني فتثبتوا وهو أبين (وقال) حكيم ينبغي للوالي ان يتثبت فيما أنهى اليه ولا يتعجل ويتأنى ويتمهل حتى ينظر ويستكشف الحال ويأخذ بادب سليمان عليه السلام حيث قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (وفي) الخبر التأني من الله والعجلة من الشيطان (ويقال) الاناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة (وقيل) التأني مع الخيبة خير من العجلة مع النجاح (وقال) آخر التأني في الامور أول الحزم والتسرع الباعث الجهل (وقال) النابغة

الرفق يمن والاناة سعادة * فتأن في أمر تلاق نجاحا

(وقال القطامي)

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(ويقال) اتئد تصب أو تكد يعني ارفق لتدرك الصواب أو تقرب أن تدركه (قال) النبي عليه الصلاة والسلام من تأنى أصاب أو كاد ومن تعجل أخطأ أو كاد

* باب ذم التأني *

كان يقال اياكم والتأني في الامور فان الفرص تمر مر السحاب (وقال) ابن عائشة القرشي الفلك أجدر من أن يجتمع معه التأني والتثبت وخير الخير أعجله (ويقال) الآفات في التأخيرات (وقيل) لابي العيناء لا تعجل فان العجلة من الشيطان فقال لو كانت العجلة من الشيطان لما قال كليم الله عليه الصلاة والسلام وعجلت اليك رب لترضى (وقال) القطامي بعد قوله وقد يدرك المتأني البيت

وربما فات قوما بعض نجحهم * من التأني وكان الحزم لو عجلوا

(وأحسن منه قول ابن الرومي)

عيب الأناة وان كانت مباركة * ان لا خلود وان ليس الفتى الحجر

(وقال ابن المعتز) وان فرصة أمكنت في العدى * فلا تبد فعلك الا بها

فان لم تلج بابها مسرعا * أتاك عدوك من بابها

واياك من ندم بعدها * وتأميل أخرى وأنى بها

(وقال محمد بن بشير)

كم من مضيع فرصة قد أمكنت * لغد وليس غد له بموات

حتى اذا فاتت وفات طلابها * ذهبت عليها نفسه حسرات

* باب مدح الوحدة والعزلة *

كان يقال الوحدة خير من جليس السوء (ويقال) العزلة من الناس توقي العرض

وتبقى الجلالة وتستر الفاقة وترفع مؤنة المكافاة في الحقوق الواجبة (وقال) الشاعر

كن لقعر البيت حلسا * وارض بالوحدة أنسا
ليس بالواحد خلا * أو ترد اليوم أمسا

(وأنشدني) ميمون بن سهل الواسطي قال انشدني القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني لنفسه

ما تطعمت لذة العيش حتى * صرت في وحدتي لكتبي جليسا
انما الذل في مداخلة الناس فدعها وكن كريما رئيسا
ليس عندي شيء أجل من العلم فلا أبتغي سواه أنيسا

(وقال) مكحول ان كان الفضل في الجماعة فان السلامة في الوحدة والعزلة * ومن أحسن ما عين في هذا الباب قول منصور بن اسماعيل المدري

الناس بحر عميق * والبعد عنهم سفينه
وقد نصحتك فانظر * لنفسك المسكينه

(ولبعضهم) الناس داء دوين * لا تركنن اليهم
فيهم خداع ومكر * لو اطلعت عليهم

(وأنشدني) البستي لأبي سليمان الخطابي

قد أولع الناس بالتلاقي * والمرء صب الى مناه
وانما منهم صديقي * من لا يراني ولا أراه

(وله أيضا) اذا خلوت صفا ذهني وعارضني * خواطر كطراز البرق في الظلم
فان تولى صباح الناعقين على * اذني عرتني منه سكتة البكم

(ومن) أحسن ما قيل في الانفراد قول أبي هيان

ان أمس منفردا فالليث منفرد * والبدر منفرد والسيف منفرد

(وقالت) في الصحيح من لزم الخلوة بربه حصل في العيش الامتع والحمى الامنع (وقال) أبو العاهية

وحده الانسان خير * من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير * من جلوس المرء وحده

* باب ذم الوحدة *

قيل الوحدة وحشة والوحشة مرمحي (وقيل) لخير لنشيط من مع الواحد وهو عن الانس أبعد ويد الله مع الجماعة (ولحكم نظائر وهو مما يتمثل به)

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم * عماة عن الاخبار خرق المكاسب

(وقيل) اياكم والعزلة فانها لقاء الناس معمر الباب واسعا ومتعظا واسعا ومجالسة الناس تجلو البصر وتسرد الفكر (وقال) الانقباض من الناس مكسبة للعداوة

(وقال) بعض الحكماء اياكم والحلوات فانها تفسد العقول وتحل المعقود وتعقد المحلول
(وقال) آخر البيت رمس مالزمته والهم زمانة ماسلطته ولابي تمام في معناه بعينه
ورا كذا الهم كالزمانة والبيت اذا لزمته رمس

باب مدح الشجاعة

في الخبر ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب (وكتب) أنوشروان الى ولاته عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فانهم أهل حسن الظن بالله تعالى (وكان) يقال الشجاع موقى والجبان ملقى (ويقال) الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى امه وقال بعض الحكماء قوة النفس ابلغ من قوة الجسد
(وقال) الشاعر يفر الجبان من أبيه وامه * ويحمي شجاع القوم من لايناسبه
(ولما قال أبو الطيب المتنبي)

يرى الجبناء ان العجز عقل * وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تغني * ولا مثل الشجاعة في الحكيم

قيل له أنى يكون الشجاع حكيما وهما على طرفي نقيض قال هذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وكان يقال) خيفة العادة تورث جبنا والشجاعة حسن الظن وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه يقول ماليلة أقر لعيني من ليلة يهدى الي فيها عروس الا ليلة أعدو فيها القتال العدو (وكان) حصين بن المنذر صاحب راية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول ابتذال الانفس في الحرب أبقى لها اذا أخرفي الاجل (وقيل) لعباد بن الحصين في أي جنة تحب أن تلقى عدوك قال في أجل مستأخر (وكان يقال) ان بني هاشم شجعان قريش واسخياء قريش اجمع اهل الاسلام على انه لم يكن فارس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشجع من علي بن ابي طالب رضي الله عنه (وقيل) لايصدق في القتال الا ثلاثة مستبصر في دين اوغيران على النساء اوممتهن من دل

باب ذم الشجاعة

قيل انه روي عن شيخ كبير وقد تأخر عن الصف في الحرب واستعد للهرب فقيل له نراك غير شجاع فقال لو كنت شجاعا مابلغت هذا السن (وقيل) مافي الدنيا شجاع الامتهور ولاجبان الامتحرز (وقال) بعض الجبناء من أراد السلامة ليدع الشجاعة وقال آخر يقال ذو أخواه الله خير من قتل رحمه الله وكقولهم رهبوت خير من رحموت (ويقال) الفرار في وقته ظفر وقال محمد بن أبي حمزة العملي مولى الانصار

ظلت تشجعني هند وقد علمت * ان الشجاعة مقرون بها العطب

يا مفسد لا والذي حج الحجيج له ❊ لا يشتهي الموت عندي من له أدب

وهذا أحسن ما قيل في مدح الجبن وقال بعضهم الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح البؤس

❊ باب مدح الجود ❊

في الخبر ان الله تبارك وتعالى يحب الجواد لانه جواد كريم (وفيه) أيضا الجود من أخلاق أهل الجنة ويقال الجود غاية الزهد والزهد غاية الجود (وقال) غيره الجود أن تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا (وقال) علي بن عبد الله الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء وكان خالد بن عبد الله القشيري يقول تنافسوا في المغانم وسارعوا الى المكارم واكتسبوا بالجود حمدا ولا تكتسبوا بالمطل ذما ولا تعدوا بمعروف لم تعجلوه واعلموا ان حوائج الناس نعمة من الله عليكم فلا تملوها فتعود نقما (وقال الشاعر)

لا تزهدن في اصطناع العرف تفعله ❊ ان الذي يحرم المعروف محروم

(وقال آخر) من غير الكتاب الاصلي

ستلقى الذي قدمت للنفس محضرا ❊ فأنت بما تأتي من الخير أسعد

(وقال) طلحة بن عبد الله انا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء ولكننا نصبر (وقال) العتابي من منع الحمد ماله ورثه من لا يحمده عليه وكان يقال رب فاجر في دينه أخرق في معيشته دخل الجنة بسماحته (وقال) العتابي ثواب الجود ثلاثة خلف ومحبة ومكافأة وثواب البخل مثلها تلف ومذمة وحرمان (وكتب) الحسن بن علي الى أخيه رضي الله عنهم يعتب عليه في اعطاء الشعراء فأجابه خير المال ما وقي به العرض (وقال) غيره الجود أشرف الاخلاق وأنفس الاعلاق (وقال) ابن المعتز الجود حارس العرض من الذم (وقال) آخر الاسخياء يعبدهم المال والبخلاء يعبدونه (وقال) بعض السلف لو كان شئ يشبه الربوبية لقلت الجود (ويقال) من جاد ساد ومن بخل رذل (وقال) عمر رضي الله عنه السيد الجواد حين يسأل وقال أبو نواس

أنت للمال اذا أمسكته ❊ فاذا أنفقته فالمال لك

(ولبعضهم)

يا غافلا عن حركات الفلك ❊ نبهك الله فما أغفلك

مالك للغير اذا صنته ❊ وكل ما أنفقته فهو لك

ولسيدنا عمر بن عبد العزيز لما لاموه على الكرم

مالي على حرام ان بخلت به ❊ وصاحب البخل بين الناس مذموم

مالي أشحّ بمال لست أملكه ❊ والمال بعدي اذا ماامت مقسوم

لا بارك الله في مال أخلفه ❊ للوارثين وعرضي فيه مشتوم

ولبعضهم

﴿ ولبعضهم ﴾

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا ❊ ومات فى أثرهم تلك الكرامات
وخلفونى فى قوم ذوى سفه ❊ لو عاينوا طيف ضيف فى الكرى ماتوا

(وفى) كتاب عيون الآداب روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أشد الاعمال ثلاثة انصاف الناس من نفسك ومواساة الاخ فى مالك وذكر الله على كل حال (وقال) بعض العلماء من أيقن بالخلف جاد بالعطية أتى النبى صلى الله عليه وسلم باسارى فأمر بقتلهم وأفرد رجلا منهم فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا أفرد من بينهم فقال نزل على جبريل عليه السلام فقال أقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاء فيه (وقال) بعض الانبياء لابليس من أحب الناس اليك قال عابد بخيل قال فمن أبغض الناس اليك فقال فاسق سخى قال كيف ذلك قال لانى لا أرجو ان يقبل الله عبادته لبخله ولا آمن ان يطلع الله على العبد الفاسق فيرى بعض سخائه فينجيه ويرحمه

﴿ باب ذم الجود ﴾

قال بعض الحكماء من جاد بماله جاد بنفسه لانه جاد بالاقوام له الا به (وكان) أبو الاسود الدؤلى يقول لاتجاودوا الله فانه أجود وأمجد ولو شاء ان يوسع على خلقه حتى لا يكون فيهم محتاج لفعل (وكان) يقول لو جدنا على المساكين باعطائهم مايسألوننا لكنا أسوأ حالا منهم وكان على بن الجهم يقول من وهب المال فى عمله فهو أحمق ومن وهبه بعد العزل فهو مجنون ومن وهبه من جوائز سلطانه أو ميراث لم يتعب فيه فهو مخذول ومن وهبه من كسبه وما استفاده بحيلة فهو المطبوع على قلبه (وقال) محمد ابن الجهم اتركوا الجود للملوك فانه لا يليق الا بهم ولا يصلح الا لهم ومن عارضهم فى ذلك افتقر وافتضح فلا يلومن الا نفسه (وكان) ابن المقفع يقول ان مالك لا يسع الناس فاخصص به ذوى الحق (ومن) أحسن ماقيل فى تحسين البخل قول ابن المعتز

يارب جود جر فقر امرئ ❊ فقام فى الناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه ❊ فالبخل خير من سؤال البخيل

وقول أبى الفتح البستى

(ولبعضهم)

أنا ما طفيلى كان عينه ❊ على الا كل برق للموائد تخطف
تحاكى عصا موسى اذا هى أقبلت ❊ فما هى الا حية تتلقف

(ولآخر)

يتساهل الصفع فى الدنيا ثمانية ❊ لا لوم فى واحد منهم اذا صفعا
المستخف بسلطان له خطر ❊ وجالس مجلسا عن قدره ارتفعا
ومتحف بحديث غير سائله ❊ وداخل فى حديث اثنين مندفعا
ومرتجى الود ممن لا خلاق له ❊ وطالب النصر من اعدائه طمعا
ومنفذ أمره فى غير منزلة ❊ وداخل البيت تطفيلا بغير دعا

اشفق على الدرهم والعين ✽ تسلم من الغيبة والدين
قوة العين بانسانها ✽ وقوة الانسان بالعين

(وقول) عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر

فى كل شئ سرف ✽ يكره حتى فى الكرم
ولربما ألفان لا ✽ أفضل من ألفى نعم

(وكان) الكندى يقول قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم

﴿باب مدح البخل﴾

من أمثال العرب الشحيح أعذر من الظالم (ومن) أمثال العجم منع الجميع أرضى للجميع (وقال) بعضهم عجبت لمن سمى القصد بخلا وسمى السرف جودا وقال آخر حفظ ما فى يدك خير من طلب الفضل من أيدى الناس (وقال) صالح بن عبد القدوس لا تجد بالعطاء فى غير حق ✽ ليس فى منع غير ذى الحق بخل وقال آخر اذا قبح السؤال حسن المنع وقال المتلمس

لحفظ المال خير من عطاه ✽ وسعى فى البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه ✽ ولا يبقى الكثير مع الفساد

(ومما) يليق بهذا الباب قول الله تعالى لنبيه من لطف العتاب ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين

﴿باب ذم البخل﴾

قال الشعبى ما أفلح بخيل قط أما سمعتم قول الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (وقال) المأمون لمحمد بن عبد الله المهلبى بلغنى انك متلاف فقال يا أمير المؤمنين منع الجود سوء ظن بالمعبود وهو تعالى يقول وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويقال البخيل أبدا ذليل ويقال لا مروءة لبخيل ويقال شر أخلاق الرجال البخل والجبن وهما من أخلاق النساء (وقال) الجاحظ البخل والجبن غريزة واحدة يجمعها سوء الظن بالله وقال غيره البخل يهدم مبانى الكرم (وقال) ابن المعتز بشر مال البخيل بحادث أو وارث وقال أيضا أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه وقال الشاعر

وغيظ البخيل على من يجود ✽ لأعجب عندى من بخله

ومن أمثال العرب هو يحسد ان يفضل ويزهد ان يفضل (ومن) قولهم هو يمنع دره ودر غيره ويحسد ان يعطى ويزهد أن يعطى وقال بعض الشعراء

ليس البخيل باخلا بخيره ✽ لكن من يبخل بخير غيره

وقال الشاعر لا يسود امرؤ بخيل ولو ✽ مس بيافوخه عنان السما

(وقال) بعض السلف لو لم ينطق القرآن في ذم البخل الا بقوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة لكفى وهو أبلغ البلاغ في تهجينه وأنهى النهي عن ايثاره (وقال) الله تعالى فيمن يبخل ويأمر بالبخل الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله قال ابن مسعود في قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة يطوق بثعبان فيه قرر رأسه ثم ينطوي في عنقه فيقول أنا مالك الذي بخلت بي وقال بعضهم قد ذم الله من يمنع خيره ويأمر بالبخل غيره فاياك أن تكون اياه

باب مدح الحقد

قال يحيى بن خالد البرمكي لعبد الملك بن صالح الهاشمي في كلام جرى بينهما ما أنت حقود فقال ان كنت تريد بقاء الخير والشر عندي فأنا كذلك (ويقال) انه قال له انما خزانة تجمع الخير والشر فقال يحيى هذا والله جبل قريشي وما رأيت أحدا يمدح الحقد ويحسنه غيره بمثل هذا (وقد) أخذ معناه ابن الرومي وزاد فيه وحسنه فقال

وما الحقد الا توأم الشكر للفتى * وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
اذا الارض ادت كل ما أودعت زارع * من البذر فيها فهي ناهيك من أرض

باب ذم الحقد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الذنوب عند الله الحسد والحاسد مضاد لنعمة الله خارج عن أمر الله تارك لعهد الله (وقال) عز وجل ومن شر حاسد اذا حسد وأمر رسول الله أن يستعيذ به من شره (وقال) معاوية رضي الله عنه كل انسان أقدر ان أرضيه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها (وقال) عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد غم دائم ونفس متتابع (وقال) الشاعر

ان الحسود الظلوم في كرب * يخاله من يراه مظلوما
من نفس دائم على نفس * يظهر منه ما كان مكتوما

قال الشيخ الامام أنشدني أبو منصور الفوشنجي لنفسه في هذا المعنى

ولو ايقود سعيد * حسدا لهم ويسود * وكيف ذاك واني
وهو الحقود الحسود * ولا يسود حسود * ولا يقود حقود

كان يقال الحقد داء دوي (ويقال) من كثر حقده دوي قلبه ويقال الحقد مفتاح كل شر ويقال حل عقد الحقد ينتظم لك عقد الود ويقال الحقود والحسود لا يسودان وقال آخر

لما عفوت ولم احقد على احد * ارحت نفسي من غم العداوات

(ويقال) لا يوجد العجول محمودا ولا المغضوب مسرورا ولا الحر حريصا ولا الكريم

حسودا ولا الشره غنيا ولا الملول ذا اخوان (وقال) بعض الحكماء وجدت اول الاشياء منفعة واضرها في العاقبة الحاجة ووجدت انكد العيش عيش الحسود (وقال) الشاعر لا يحزننك فقران عراك ولا * تقنع اخالك في مال له حسدا

فانه في رخاء في معيشته * وانت تلقى بذاك الهم والنكدا

(وقال آخر) اذا ما المرء كان لنا حسودا * فأف لذاك من باغ حسود

* باب مدح الحياء *

مما ادركه الناس من كلام النبوة الحياء شعبة من الايمان وفيه ايضا الحياء خير كله فاذا لم تستح فافعل ما شئت (وقال) الشاعر

اذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحي فافعل ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

(وفي) الخبر ان الله يحب الحيي المتعفف ويبغض الوقح الملحف (وقال) الحكيم الحياء سبب كل جميل (ويقال) من كساه الحياء ثوبه ستر عن العيون عيبه (ويقال) الحياء والايمان مقرونان في قرن فاذا ارتفع احدهما ارتفع الآخر (وقيل) لبنت ارسطاطاليس ما احسن ما في المرأة قالت الحمرة التي تعلو وجهها من الحياء (وقال) بعضهم اكثر الناس حياء من كان الذم اشد عليه من الفقر

* باب ذم الحياء *

كان يقال الحياء يمنع الرزق (وفي امثال العامة) من استحيا من ابنة عمه لم يولد له في الآخرة وقال علي رضي الله عنه قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان (وقال) بعض المجربين استحيوا على قضاء حوائجكم بالوقاحة والابرام (وقال) غيره هذا زمان نكد عسر ليس الوقح المبرم ينجح فيه فكيف الحيي المخفف (ويروى) هذا زمان نكد لا ينجح فيه الوقح المتكهف فكيف الحيي المتعفف وقال الشاعر

ليس للحاجات الا * من له وجه وقاح * ولسان ذو فضول * وغدو ورواح

ومن غير الاصل ما املاه الشيخ الامام المقدسي من مسموعاته الى آخر الباب (وقال) ابو القاسم الحريري

سألت زماني وهو بالجهل عالم * وبالسخف معتز وبالنقص مختص

فقلت له كيف الطريق الى الغنى * فقال طريقان الوقاحة والنقص

(ومما) سمع منه ايضا قال الوقاحة كالقداحة بها يستفز اللهب ويشتعل الحطب

* باب مدح الاخوان والاصحاب *

في الخبر المرء كثير بأخيه ويقال الرجل بلا اخوان كالشمال بلا يمين ويقال من اتخذ

اخوانا

اخوانا كانواله اعوانا وقيل العجز الناس من فرط فى طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم (وقال) المغيرة بن شعبة التارك للاخوان متروك (وقال) شبيب بن شيبة عليك بالاخوان فانهم زينة فى الرخاء وعدة عند البلاء وقال الشاعر

تكثر من الاخوان ما اسطعت انهم * عماد اذا استنجدتهم وظهير
وما بكثير ألف خل وصاحب * وان عدوّا واحدا لكثير

وقال اسمعيل بن صبيح الودّ اعطف من الرحم وقال العتبي لقاء الاخوان نزهة القلوب (وقال) ابن عائشة القرشي مجالسة الاخوان مسلاة للاحزان وقال سعيد بن مسلم ان فى لقاء الاخوان لغنما وان قل وقال سليم بن وهب غزل المودة ارق من غزل الصبابة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق (وقال) يونس النحوي يستحسن الصبر عن كل احد الا عن الصديق وقال محمد بن يوسف من اكثر من اصدقائه ركب اعناق اعدائه وقال القطامي

واذا تصبك من الحوادث محنة * فاخوك اخوك الصديق الاوثق

وقال السندي الصديق انسان هو انت الا انه غيرك وقال المأمون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء وطبقة كالدواء وطبقة كالداء فالغذاء لا يستغنى عنه ابدا والدواء يحتاج اليه احيانا والداء لا يحتاج اليه بحال وقال ابن المغيرة اذا قدمت المودة تشبهت بالقرابة وقال الشاعر

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة * ولكن اخوان الثقاة الذخائر

(وقال ابو تمام) ذو الود منى وذو القربى بمنزلة * واخوتى اسوة عندى واخوانى
عصابة جاورت آدابهم ادبى * فهم وان فرقوا فى الارض جيرانى
أرواحنا فى مكان واحد وغدت * أبداننا بشآم أو خراسان

وقالت فى المبهج الصديق الصدوق ثانى النفس وثالث العينين ومنه الصديق الصدوق كالشقيق الشفوق ومنه الصديق عمدة الصديق وعدته ونصرته وعقدته وربيعه وزهرته ومشتريه وزهرته ومنه قربة الوداد أقرب من لحمة الولاد ومنه لقاء الخليل شفاء الغليل (ومنه) ليس للصديق اذا حضر عديل ولا عنه اذا غاب بديل ومنه مثل الصديقين كاليد تستعين باليد والعين تستعين بالعين (ومنه) لقاء الصديق روح الحياة وفراقه سم الحياة ومنه لا تساغ مرارة الاوقات الا بحلاوة الاخوان الثقات (ومنه) استروح من غمة الزمان بمنادمة الخلان ومنه الحاجة الى الاخ المعين كالحاجة الى الماء المعين ولبعضهم فى معنى هذا الباب

ما ضاع من كان له صاحب * يقدر أن يصلح من شأنه
فانما الدنيا بسكانها * وانما المرء باخوانه

﴿باب ذم الاخوان﴾

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول من كثر اخوانه كثر غرماؤه ودنى في قضاء الحقوق وقال عمر بن مسعدة العبودية عبودية الاخاء لاعبودية الرق وقال ابراهيم بن العباس مثل الاخوان كالنار قليلها امتاع وكثيرها بوار (وقال) الكندي لابنه يابني الاصدقاء هم الاعداء لانك اذا احتجت اليهم منعوك واذا استغنوا الك تلدوك وسلبوك وكان بعضهم يقول في دعائه اللهم احرسني من أصدقائي فاذا قيل له في ذلك قال أقدر على الاحتراس من أعدائي ولا أقدر على الاحتراس من أصدقائي وقال ابن المعتز أصدقاء السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا وقال أيضا تمتاجون في الدنيا بمساعدة الاخوان وينفع بهم كا ة الاخوان والاعوان في الصدد اند ماوعم رجوه منها اذا كانت تنقطع في الآخرة ولا تتصل بما أحب في الدنيا ترد بوا عقابه

أنت ما استغنيت عن * صاحبك الدهر اخوه
فاذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه

وقال ابراهيم بن العباس

ذم الزمان زمني * الشأن في الاخوان بين زماني لما * رأى الزمان رماني
لو قيل لي خذ أمانا * من أعظم الحدثان لما طلبت أمانا * الامن الاخوان

﴿وقال ابن الرومي﴾

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ماتراه * يكون من الطعام أو الشراب

وللامام الشافعي رضي الله عنه

صديقك من يعادي من تعادي * بطول الدهر ماسجع الحمام
ويوفي الدين عنك بغير مطل * ولا يمن به أبدا دوام *
فان صافي صديقك من تعادي * ويفرح حين ترشقك السهام
فذاك هو العدو بغير شك * تجنبه وصحبته حرام
فما في دمي عندنا بيت شعر * شبيه الدرز بيننا انتظام
اذا وافى صديقك من تعادي * فقد عاداك وانفصل الكلام
ولا عتبهم وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة * فان عرضت أيقنت ان لا أخا ليا

﴿وقال ابن المعتز﴾

وأفردني عن الاخوان علمي * بهم فبقيت مهجور النواحي
اذا ما قل وفري قل مدحي * فان أثريت عادوني امتداحي
فكم ذم لهم في جنب مدح * وجد بين أثناء المزاح

وقال آخر آخ من شئت ثم رم منه شيأ * تلق من دون ما أردت الثريا
(والمتنبي) صديقك أنت لا من قلت خلي * وان كثر التجمل والكلام

(ومن غير الكتاب)

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديق * فكان أخبر بالمضره

وقال آخر ألا ان اخواني الذين عهدتم * أفاعي رمال ما تقصر في لسعي
ظننتهم خيرا فلما بلوتهم * حللت بواد منهم غير ذي زرع
ولبعضهم صديق يفدينا اذا كان حاضرا * ويوسعنا في حال غيبته لسعا
له لطف قول دونه كل رقية * ولكنه في فعله حية تسعى

(باب مدح المزاح)

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وكان العباس رضى الله عنه يقول مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار المزح سنة ومن مزاحه عليه الصلاة والسلام انه كسا امرأة من نسائه ثوبا فقال البسيه واحمدي الله وجري ثوب العروس وقيل لسفيان بن عيينة المزاح هجنة فقال بل سنة ولكن الشأن فيمن يحسنه ويضعه مواضعه وكان علي رضي الله عنه فيه دعابة وكان يقال المزح في الكلام كالملح في الطعام وقد نظمه أبو الفتح البستي فقال

أفد طبعك المكدود بالهم راحة * قليلا وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

ويقال الافراط في المزح مجون والاقتصاد فيه ظرافة والتقصير فيه ندامة وقال عطاء ابن السائب كان سعيد بن جبير لا يقص علينا الا أبكانا بوعظه ولا يقوم من مجلسنا حتى يضحكنا بمزحه وقال المتنبي

ولما صار ود الناس خبا * جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه * لعلمي انه بعض الانام
يحب العاقلين على التصافي * وحب الجاهلين على الوسام

(باب ذم المزاح)

(قال) بعض حكماء العرب المزاح يذهب المهابة ويورث الضغينة والمهانة (وقال) بعضهم المزاح سباب النوكى (وقال) بعضهم المزاح هو السباب الاصغر (وقال) آخر المزاح يجلب الشر صغيره والحرب كبيره وقال آخر لو كان المزاح فحلا لم ينتج الا شرا (ويقال) المزاح أوله فرح وآخره ترح وخير المزاح لا ينال وشره لا يقال وقل مزاح لم

يحدث شرا أو ضغينة وقال ابن المعتز المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب (وقال أيضا) من كثر مزاحه لم يزل في استخفاف به وحقد عليه وقال أيضا رب مزح في عوده جد وقال أبو نواس

قد صار في الناس جدا ما مزحت به * كم مازح صار بين الناس مذموما

(وقال) أيضا آية نار قدح القادح وأي جد بلغ المازح (وقال) لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح (وقال) سالم بن قتيبة لأهل بيته لا تمازحوا فيستخف بكم ولا تدخلوا الاسواق فتدق أخلاقكم (وقال) الاحنف من كثر مزاحه ذهبت هيبته ومن كثر ضحكه استخف به (وقال الشاعر)

أما المزاح والمراء ذرهما * خلقان لا أرضاهما لصديق

(وقال آخر) ان المزاح لجلال سالبه * والشطط أيضا للبهاء مذهبه

(وقال آخر) ان المزاح يورث الضغينه * وحمل ضغن في الحشا مؤونه

* باب مدح العتاب *

قال بعض البلغاء العتاب حدائق المتحابين وثمار الاوداء والدليل على الضن بالاخوة ويقال ظاهر العتاب خير من باطن الحقد ويقال من لم يعاتب على الزلة فليس بحافظ للخلة وقال الشاعر

نعاتبكم يا آل عمرو لحبكم * الا انما المقلي من لا يعاتب

وقال ابن المعتز العتاب حياة المودة ويقال من كثر حقده قل عتابه وقال الشاعر

ترك العتاب اذا استحق أخ * منك العتاب ذريعة الهجر

(وقال آخر) اذا ذهب فليس ود * ويبقى الود ما بقي العتاب

(وقال آخر) أبلغ أبا جعفر عني معاتبة * وفي العتاب حياة بين أقوام

* باب ذم العتاب *

قال بعضهم كثرة العتاب تورث الضغينة وتولد البغضة وقال بعض الحكماء البلغاء مثل العتاب مثل الدواء ينفى به عارض الصدود ويشفى كما أنه مرض الصدور فاذا استعمل لغير علة عارضة وتوقل بلا حاجة ظاهرة تحول داء المحبة دويا وصار موتا بيد القطيعة وحيا (وقال آخر) كثرة العتاب داعية الاجتناب وقال الشاعر

أن بعض العتاب يدعو الى حقد ويؤذي به المحب الحبيبا

فاذا ما القلوب لم تضمر الود فلن يعطف العتاب القلوبا

وقال آخر فدع العتاب فرب شر * هاج أوله العتاب

وقال آخر اذا ما كنت منكر كل ذنب * ولم تحمل أخاك عن العتاب

تباعد من تعاتب بعد قرب * وصاربه الزمان الى اجتناب

وقال ابن المعتز لا تعاتب صديقك الا في سبب واخفى شيء يتعلق به الظن فان ذلك يدل على ضعف ثقتك به ووهن مودتك له وكفى بما قاله بشار بن برد واعظا من العتاب

اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لم تعاتبه

فعش واحدا اوصل اخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

اذا انت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت واى الناس تصفو مشاربه

باب مدح الحجاب

أحسن ما قيل في الحجاب قول أبي تمام

يا أيها الملك النائي برؤيته * وجوده لمراعي جوده كثب

ليس الحجاب بمقص منك لي أملا * ان السماء ترجى حين تحتجب

(وقال بعضهم)

له حاجب عن كل أمر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب

(وقال ابن نباتة السعدي)

ولو كان الحجاب بغير نفع * لما احتاج الفؤاد الى حجاب

وقال الحكيم الملك لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فان أجرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية وقال بعضهم كثرة الاذن مجلبة الابتذال وأبهة الملوك في الاحتجاب (وقال آخر) المبذول مملول والممنوع متبوع وقد أحسن ابن المعتز في قوله

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله * كذا تخلق المرء العيون اللوامح

وقال أبو جعفر التميمي للامير منصور بن نوح وهو يعرض له بالعتاب على التعرض لكثرة لقاء الناس له لو كان الله عز وجل ظاهر العيون غير محجوب عن العبيد لما عبد

باب ذم الحجاب

أحسن ما قيل في ذم الحجاب قول بعض العصريين

ليس الحجاب بآلة لاشراف * ان الحجاب مجانب الانصاف

ولقلما يأتي فيحجب مرة * فيعود ثانية بقلب صاف

وقال محمد بن عبد الله بن أبي عيينة

اني أتيتك للسلام ولم * أنقل اليك لغيره رجلي

فحجبت دونك مرتين وقد * تشتد واحدة على مثلي

وكان خالد بن عبد الله القسري يقول لحاجبه اذا أخذت مجلسي فلا تحجبن أحدا

عنى فان الوالى يحتجب لثلاثة أشياء هى يكره أن يطلع عليه أو ريبة يخاف انتشارها أو بخل يكره أن يسئل معه شيأ وكانت العجم تقول ما شئ باضيع للمملكة من شدة احتجاب الملوك ولا شئ باهيب للجند والرعية وأكف لهم عن الظلم من سهولته وقال أبو العتاهية

متى يجد الغادى اليك لحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم

(وقال المتنبى)

وهل نافعى أن ترفع الحجب بيننا * ودون الذى أملت منك حجاب

باب مدح الزيارة

(فى الخبر) من زار أخاه أو عاد مريضا نادى مناد من السماء أن طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا ويقال امش ميلا وعد مريضا وامش ميلين وأصلح بين اثنين وامش ثلاثة أميال وزر صديقا فى الله المتعال ويقال الزيارة عمارة المودة ومنظر الخلة وزار بعض العلوية يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله فقال له يحيى ان زرتنا فبفضلك وان زرناك فلفضلك فلك الفضل زائرا ومزورا وقال الشاعر

أزور محمدا فاذا التقينا * تكلمت الضمائر فى الصدور

فارجع لم ألمه ولم يلمنى * وقد رضى الضمير عن الضمير

(وقلت فى المبهج) من زار صديقه الذى يفضى اليه بسره فقد لقى السرور بأسره وخرج عن عقال الهم وأسره (وفيه) زيارة الصديق تترك الهم مطردا والأنس مطردا (وفيه) فى زيارة الاخوان روح الجنان وراحة الجنان

باب ذم الزيارة

فى الخبر زر غبا تزدد حبا ويقال قلة الزيارة أمان من الملالة وينشد

انى كثرت عليه فى زيارته * فمل والشئ مملول اذا كثرا

ورابنى منه أنى لا أزال أرى * فى طرفه قصرا عنى اذا نظرا

(وقال كشاجم) قد قلت لما ان شكت * تركى زيارتها نحلوب

ان التباعد لا يضر اذا تقاربت القلوب

(وقال منصور الفقيه)

كثرت عليه فامللته * وكل كثير عدو الطبيعه

(وقال آخر) أقلل زيارتك الحبيب تكون كالثوب استجده

ان الصديق يمله * أن لا يزال يراك عنده

وأحسن من هذا قول الآخر

عليك

عليك باقلال الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
ألم تران القطر يسأم دائما * ويسئل بالأيدى اذا هو أمسكا

وأحسن ماقيل فيه قول الآخر

أقلل زيارة من تهوى مودته * فالناس من لم يواسيهم اجلوه
فالغيث وهو حياة الناس كلهم * ان دام أكثر من يوم يملوه

باب مدح النساء

قال النبي صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة وقال عليه الصلاة والسلام تنكح المرأة لجمالها ومالها فعليك بذات الدين تربت يداك ثم قال عليه الصلاة والسلام ما أفاد رجل بعد الاسلام خيرا من امرأة ذات دين تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا أمرها وتحفظه في نفسه وماله اذا غاب عنها وقال مسلمة ابن عبد الله المرأة الصالحة خير للمرء من عينيه ويديه ويقال أقر متاع الدنيا لعين المرء المرأة الصالحة والولد الاريب ويقال من لم تخنه نساؤه تكلم بملء فيه ويقال خير النساء الودود الولود العقود وقال بعض العرب خير النساء الهينة اللينة النقية التقية التى تعين زوجها على الدهر ولا تعين الدهر على زوجها وقال بعض السلف المرأة الصالحة احدى الحسنيين ويقال أعون الاعوان على المعيشة المرأة الصالحة * ويقال الانسان لا يسكن الى شئ كسكونه الى زوجته ولذلك ان الله تعالى خلق حواء ليسكن اليها آدم عليه السلام كما قال عز اسمه هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فالسكون الى الازواج والانس بهن مما ورثوه عن آبائهم وقال بعضهم أن الرجل لا يسكن الى شئ كسكونه الى زوجته الموافقة المؤاتية له لان الله عز اسمه يقول ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ولم يخصص بهذه الصفة غير النساء ولذلك يهجر الرجل والديه وأولاده ومن دونهم بسبب زوجته ولذلك لا يهتم أحد لأحد كاهتمام المرأة الصالحة لزوجها في شفقتها عليه وعلى عياله ولا يكاد يتم أمر منزل الرجل ومروأته الا بحرة شفيقة رفيقة صالحة عفيفة والا اختلت أموره واضطربت أسبابه (وقال) خالد بن صفوان لرجل اطلب لى بكرا كثيب أو ثيبا كبكر لا ضرعا صغيرة ولا عجوزا كبيرة قد عاشت في نعمة وأدركتها حاجة فخلق النعمة فيها وذل الحاجة معها (ومن) أحسن ماقيل فيهن

(لبعضهم)

باتت تحدثنى رمزا بأعينها
غزالة يستحى من وجهها القمر
وبت من بعد بعد في منادمة
مع الحبيب وزال الهم والضرر
فاستيقظت أعين الحساد ترمقنا
لاجل أن يفهموا شيأ فما قدروا
أجبتهم غيرة في الشعر مبتسما
مضمنا نصف بيت وهو مشتهر
انى لافهم ماقالته زائرتى
وما على اذا لم تفهم البقر

قول الشاعر

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها * وعيش بني الدنيا لقاء بناتها

(وقال آخر)

ان النساء رياحين خلقن لنا * وكلنا نشتهي شم الرياحين

﴿باب ذم النساء﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر النساء انهن ناقصات العقل والدين (وقال) عليه الصلاة والسلام شاوروهن وخالفوهن فان البركة في خلافهن (وقال) عمر رضي الله تعالى عنه استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ويقال) النساء حبائل الشيطان (ويقال) اعص هواك والنساء وأطع من تشاء (وقال) النبي عليه الصلاة والسلام ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء (وعنه) عليه الصلاة والسلام خلقت المرأة من ضلع عوجاء فان داريتها استمتعت بها وان رمت تقويمها كسرتها (وقال) الشاعر على هذا

هي الضلع العوجاء لست تقيمها * ألا ان تقويم الضلوع انكسارها

وتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى * وهذا عجيب ضعفها واقتدارها

(وقيل) ان كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال الله ان كيدكن عظيم (وقال) بعض الحكماء لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأته الا بعد موتها (وقال بعضهم)

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

فهن أصل البليات التي ظهرت * بين البرية في الدنيا وفي الدين

(وكان) المأمون يقول النساء شر كلهن ومن شر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن (وقال) بعضهم المرأة الصالحة غل فمن يضعه الله في عنق من يشاء من عباده ويفكه عمن يشاء وكان يقال من القواتل امرأة ان حضرتها سبتك وان غبت عنها لم تأمنها (وقال) بعض الحكماء اضر الاشياء بالدين والعقل والجسم والمال الغرام بالنساء ومن لؤم من يبتلى بهن انه لا يقتصر على ما عنده ويطمح الى ما ليس له (وقال بعضهم) من يحصي مساوي النساء وقد اجتمعت فيهن نجاسة البطن والفرج وما فيهن الا ناقصة العقل والدين لا تصلي ولا تصوم ايام حيضها ولا يسلم عليها وليست عليهن جمعة ولا جماعة ولا يكون فيهن نبي ولا قاض ولا يسافرن الا بولي (ويقال) ما نهيت امرأة عن شيء قط الا اتته وفي معناه يقول

(لبعضهم)
مليكة الحسن جودي
باللقا كرم
للغرم دنف قد
ذاب فيك أذى
أفسدت قلبي فقالت
تلك عادتنا
قد قال سبحانه ان
الملوك اذا

طفيل الغنوي

ان النساء كاشجار نبتن لنا * منهن مر وبعض المر مأكول
ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واجب لابد مفعول

وقال رجاء بن حيوة قال معاذ بن جبل انكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وانى اخاف عليكم فتنة السراء وان اشدها الكم عندى النساء اذا تحلين الذهب والفضة ولبسن ريط الشام وعصب اليمن اتعبن الغنى وكلفن الفقير مالا يقدر عليه

* باب مدح التزوج *

قيل للحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما انك امرؤ من رسول الله منكاح مطلاق فقال لانى أحب الغنى وقد سمعت الله تعالى يقول وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله فنكحت أبتغى الغنى وسمعته يقول وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته فطلقت أبتغى الغنى أيضا (وقال) النبى عليه الصلاة والسلام لعكاف الهلالى ألك امرأة قال لا قال فانت اذا من اخوان الشياطين فان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا فمن سنتنا النكاح (وقال) بعض الصحابة عند وفاة زوجته زوجونى زوجونى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانى ان لا ألقاه اعزب (وقال) معاذ بن جبل لو لم يبق من عمرى الا ليلة لاحببت أن تكون لى فيها زوجة خوف الفتنة وقال بعض السلف لا عزب والله ما يمنعك من من التزوج الا عجز أو فجور (ويقال) النكاح من سنن المرسلين وكذلك العطر والسواك

* باب ذم التزوج *

(سئل) بعض الحكماء البلغاء عن التزوج فقال فرح شهر وغم دهر وغرم مهر ودق ظهر وقيل لرجل املك فقال املك وقال آخر الملك هو المملوك الا أن تمنه عليه (وقال) بعض العرب بيتا فيه

يقولون تزويج وأشهد أنه * هو البيع الا من يشاء يكذب

(ويقال) قيل للعتابى انت اعزب فلو تزوجت فقال وجدت الصبر عنهن ايسر من الصبر عليهن (وقيل) لمالك بن دينار مثل ذلك فقال لو استطعت لطلقت نفسى وفى كتاب ملح النوادر أن ذئبا كان ينتاب بعض القرى ويعبث فيها فترصده أهلها حتى صادوه وتشاوروا فى تعذيبه وقتله فقال بعضهم تقطع يداه ورجلاه وتدق أسنانه ويخلع لسانه وقال بعضهم بل يصلب ويرشق بالنبال وقال بعضهم لا بل توقد نار عظيمة ويلقى فيها وقال بعض المغفلين بنسائه لا بل يزوج وكفى بالتزويج تعذيبا

وفى هذه القصة يقول الشاعر

رب ذئب أخذوه * وتماروا فى عقابه
ثم قالوا زوجوه * وذروه فى عذابه

﴿باب مدح الجوارى﴾

كان يقال من أراد قلة المؤنة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر (وكان) عبد الملك يقول عجبت لمن استمتع بالسرارى كيف يتزوج الحرائر (ويقال) السرور فى اتخاذ السرارى (وكان) أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء أمهات اولادهم حتى نشأ فيهم على بن الحسين بن على بن أبى طالب والقاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق ومسلم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفاقوا أهل المدينة فقها وعلما وورعا وما منهم الا ابن سرية فرغب الناس فى اتخاذ السرارى (وقال) مؤلف الكتاب وليس فى خلفاء بنى العباس من ابناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والمخلوع وأما الباقون كلهم فابناء السرارى والجوارى وقد أوردت اسماء الكل فى كتاب لطائف المعارف المؤلف بخزانة مولانا الملك المؤيد أعز الله نصره وثبت ملكه وكان يقال النجابة فى أولاد الاماء لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم ولما تزوج على بن الحسين بأم ولد رجل من الانصار لامه عبد الملك بن مروان على ذلك فكتب اليه ان الله عز اسمه قد رفع بالاسلام الخسيسة وأتم النقيصة وأكرم من اللؤم فلا عار على مسلم فى حلال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج امة وأم ولد فقال عبد الملك ان عليا يتشرف من حيث تتضع الناس وفى كتاب المبهج الجارية الوسية من النعم الجسيمة (وفيه) لا تتخذ السرية الا سرية قال وقلت فى كتاب المترف

سقيا لدهر سرورى * والعيش بين السرارى
اذ طير سعدى جوار * مع امتلاك الجوارى
أيام عيشى قعودى * وقد ملكت اختيارى
أجرى بغير عذار * أجنى بغير اعتذار
وغيم لهوى مطير * وزند أنسى وارى *
كأن خوارزمشاه الهمام أصبح جارى
من ريب دهر خئون * بغير ماسر بارى *
ذاك المليك الذى قد * حكت يداه السوارى
وقد حمى الدين لما * جلاه يوم الفخار
فظل سورا عليه * وتارة كسوار *
لازال خوارزمشاه * يحوى الغنى باقتدار

* باب ذم الجواري *

أحسن ما سمعت في ذم الجواري ما أنشدني أبو الحسن السهروردي قال انشدني المحبوبي المروزي قول الشاعر

اذا لم يكن في منزل الحر حرة * رأى خللا في ما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حرقعيدة * فهن لعمر الله شر القعائد

(وكان) يقال الجواري كخبز السوق والحرائر كخبز الدور (ومن) امثال العرب لا تمازح أمه ولا تبل على أكمه (وسمعت) ابا الحسن الماسرخسي يقول سمعت بعض صدور نيسابور يقول لا تفترش من تداولتها أيدي النخاسين ووقع ثمنها في الموازين ويقال لا خير في بنات الكفر وقد نودي عليهن في الاسواق ومرت عليهن أيدي الفساق

* باب مدح العيال *

قال بعض السلف استكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون (ويقال) من لا عيال له لا مروءة له (وقال) طلحة الطلحات لا تمتنعوا من اتخاذ العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون واعلموا ان ارزاقهم على الله ومرافقهم لكم (وكان) يقال الكلب ومن لا عيال له بمنزلة (وكان) جعفر بن سليمان يقول المروأة في سعة الحال وكثرة العيال وشكا رجل الى بعض العلماء كثرة عياله فقال له من كان من عيالك رزقه على غير الله فحوله الي * ومما يستحسن في ذلك لابي العتاهية

الخلق كلهم عيا * ل الله تحت ظلاله
وأحبهم طرا اليـ * ـه أبرهم لعياله

* باب ذم العيال *

كان يقال قلة العيال أحد اليسارين (وقال) خلف بن أيوب كم من كريم فضحته العيال (وقال) سفيان بن عيينة لا يصلح ولا يجوز ولا يستقيم أن يكون صاحب العيال ورعا (ويقال) العاقل يتخذ المال قبل العيال والجاهل يتخذ العيال قبل المال وروي سفيان بن عيينة يوما واقفا بباب يحيى بن خالد البرمكي فقيل له ليس هذا من مواطنك يا أبا محمد فقال متى رأيتم صاحب العيال أفلح (وكان) يقول اني لا اعجب ممن له عيال وليس له مال كيف لا يخرج على الناس بالسيف (ومن) الامثال السائرة العيال سوس المال (وقيل) لبعضهم ما المال قال قلة العيال وقال آخر لا مال لكثير العيال (ومن) مواعظ كتاب المبهج استظهر على الدهر بخفة الظهر

﴿باب مدح الولد﴾

فى الخبر المرفوع ريح الولد من ريح الجنة (ويروى) عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لاحد الحسنين رضى الله عنهما انك من ريحان الله (وعنه) عليه الصلاة والسلام ولد الرجل من أطيب كسبه (ويقال) الولد قرة العين وريحانة الانف وثمرة القلب وقال بعض السلف أولادنا أكبادنا وقال الاحنف لمعاوية أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة ان غضبوا فأرضهم وان سألوا فاعطهم ولا تكن عليهم قفلا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك (وقالت) اعرابية وهى ترقص ولدها

يا حبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد * أهكذا كل ولد * أم لم يلد قبلى أحد

(ومما يستحسن من الفاظ الصاحب قوله فى كتاب) وصل كتاب مولاى فالصقته بالقلب والكبد وشممته شم الولد وقال من سره أن يرى كبده تمشى على الارض فلير ولده

﴿باب ذم الولد﴾

قال بعض حكماء العرب من سره بنوه ساءته نفسه (وكان) يحيى بن خالد يقول ما رأى أحد فى ولده ما يحب الا رأى فى نفسه ما يكره (وقال) ابن الرومى فى معناه

كم من سرور لى بمولود أؤمله بعد
وبأن يمد فى الزمان رأيت ممنه أشد
ومن العجائب ان أسر بشدتها أحد

(وقال) ابن المعتز فى فصوله أفقرك الولد أو عاداك (وفى) المبهج اذا ترعرع الولد تزعزع الوالد (وقيل) لعيسى عليه السلام هل لك فى الولد فقال ما حاجتى الى من ان عاش كدنى وان مات هدنى (وقيل) لبعض النساك مالك لا تبتغى ما كتب الله لك قال سمعا لامر الله ولا مرحبا بمن ان عاش فتننى وان مات أحزننى يريد قوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال حكيم فى ذم الاولاد هم ملوك صغارا واعداء كبارا يريد قوله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم (ويقال) من اراد أن يذوق الحلاوة والمرارة فليتخذ ولدا (وينشد) لابى سهل سعيد بن عبد الله الشكلى

هذا الزمان الذى كنا نحذره * فيما يحدث عن كعب وعن مسعود
ان دام هذا ولم يحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

وقال المتنبى
وما الدهر اهل أن يؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقال البستى
يقولون ذكر المرء يحيا بنسله * وليس له ذكر اذا لم يكن نسل
فقلت لهم نسلى بدائع حكمتى * فان فاتنا نسل فانا بها نسلو

(وقال ابن المعتز)

سكنتك يا دنيا برغمي مكرها * وما كان لي في ذاك صنع ولا أمر
وجربت حتى قد قتلتك خبرة * فانت وعاء حشوه الهم والشر
فان أرتحل يوماً أودعك ذميمة * وما فيك من عودي غراس ولا بذر

(وقيل) لفيلسوف يعق والديه لم تعق والديك فقال لانهما اخرجاني الى عالم الكون والفساد (وقيل) لاعرابي لم أخرت التزوج الى الكبر فقال لابادر ولدي باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق (وحدثني) أبو نصر سهل بن المهدي قال كان رجل من المياسير بالبصرة يتمنى أن يرزق ابنا وينذر عليه النذور حتى ولد له فربه غاية السرور واحسن تربيته حتى ارتفع عن مبلغ الاطفال الى حد الرجال ولم يهمه شيء من أمر الدنيا سواه ولم يؤثر ممكنا من الاحسان عنه فلم يشعر الاب ذات يوم الا بخنجر خالط جوفه من وراء ظهره فاستغاث بابنه فلم يجبه ثم استغاث به ثانية والتفت فاذا هو صاحب الضربة فقال الشيخ لا اله الا الله محمد رسول الله أستغفر الله صدق الله أراد بالتهليل ان يلقى الله بالايمان وبالاستغفار ان الله تعالى حذره فلم يحذر وبقوله صدق الله عز وجل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم فجمع بهذه الكلمات كل ما يحتاج اليه في تلك الحال

* باب مدح البنات *

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا معاوية فقال هذه تفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الانف فقال أمطها عنك قال ولم قال لانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الشحناء ويثرن البغضاء قال لا تقل ذلك يا عمرو فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الزمان ولا أذهب جيش الاحزان مثلهن وانك لواجد خالا قد نفعه بنو أخته وأبا قد رفعه نسل بنيه فقال يا معاوية دخلت عليك وما على الارض شيء أبغض الي منهن واني لاخرج من عندك وما عليها شيء أحب الي منهن (وقال) معن بن أوس

رأيت رجالا يكرهون بناتهم * وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن والايام يعثرن بالفتى * خوادم لا يمللنه ونوائح

وقال العلوي الحماني في صديق له ولدت له بنت فسخطها شعرا

قالوا له ماذا رزقتا * فأصاخ ثمة قال بنتا * وأجل من ولد النساء
أبو البنات فلم جزعتا * ان الذين تودهم * بين الخلائق ما استطعتا
نالوا بفضل البنت ما * كتبوا به الاعداء كبتا

(وفي) رقعة للصاحب بالتهنئة بالبنت اهلا وسهلا بعقيلة النساء وأم الابناء وجالبة

الاصهار والاولاد الاطهار والمبشرة باخوة ماسقون ونجباء يتلاحقون شعر

فلو كان النساء كمن وجـــدنا * لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * وما التـذكير فخر للهلال

والله تعالى يعرفك يا مولاى البركة فى مطلعها والسعادة بموقعها فادرع اغتباطا واستأنف نشاطا فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها والذكور يعبدونها والارض مؤنثة ومنها خلقت البرية وفيها كثرت الذرية والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب والنفس مؤنثة وهى قوام الابدان وملاك الحيوان والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الاجسام ولا عرف الانام والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون فهنيئا لك هنيئا بما أوتيت وأوزعك الله شكر ما أعطيت (ونسخت رقعة لابى الفرج الببغا) اتصل بى خبر المولودة المسعودة كرم الله عرقها وأنبتها نباتا حسنا وما كان من تغيرك عند اتصال الخبر وانكارك ما اختاره الله لك فى سابق القدر وقد علمت انهن أقرب من القلوب وان الله بدأ بهن فى الترتيب فقال عز من قائل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وما سماه الله تعالى هبة فهو بالشكر أولى وبحسن التقبل أحرى فهنأك الله بورود الكريمة عليك وثمرتها اعداد النسل الطيب لديك والله أعلم

* باب ذم البنات *

قيل لاعرابى ما ولدك قال قليل خبيث قيل وكيف ذلك قال لا عدد أقل من الواحد ولا أخبث من بنت (وكان يقال) دفن البنات من المكرمات (ويقال) تقديم الحرم من النعم (وفى) الحديث المرفوع نعم الختن القبر وروى لعبد الله بن طاهر

لكل أبى بنت اذا ما ترعرعت * ثلاثة اصهار اذا ذكر الصهر

فزوج براعيها وبيت يكنها * وقبر يواريها وخيرهم القبر

وقال غيره

جعلت فداك من النائبات * ومتعت ماعشت م الطيبات

سروران ما لهـــما ثالث * حياة البنين وموت البنات

واصدق من ذين قول الحكيم * دفن البنات من المكرمات

(وكان) الاستاذ الطبرى يقول ليس بشيخ من لا بنت له وان كان ابن تسعين سنة وليس بشاب من له بنت وان كان ابن عشرين سنة (وقيل) طوبى لمن صاهر القبر وخطب اليه الدهر ووضع فى ميزانه الاجر

* باب مدح الغلمان *

قال

قال مطيع بن اياس لولم يكن للمرد فضيلة الا أن الله تعالى تحلق ملائكته مردا وأهل الجنة مردا لكانت فيها الكفاية واعماعني الحديث المرفوع أهل الجنة مرد جرد مكحلون (وفى) ذلك يقول الشاعر

لوكان يرضى ربنا باللحى * ماخلق الجنة للمرد

(وكان) يقال الغلام هو الرفيق فى السفر والقرين فى الحضر والصديق فى الشدة والرخاء والمعين على الشغل والنديم عند الشرب وهو مفتاح الانس (وكان) يحيى بن أكثم يقول قد أكرم الله أهل جنته بأن أطاف عليهم غلمانا كأنهم لؤلؤ مكنون وولدانا مخلدين فى وقت رضاه عنهم وقرب اتصاله منهم لفضلهم فى الخدمة على الجوارى فما الذى يمنعنى عاجلا عن طلب هذه الكرامة المخصوص بها أهل القربة عند الله والزلفى لديه (وقيل لمسلم الاصغر) لم فضلت الغلام على الجارية فقال لانه فى السفر صاحب ومع الاخوان نديم وفى الخلوة أهل (وقال) مطيع بن اياس

من كان يعجبه الاثر ويحبها * من الرجال فانى شيق الذكر
فوق الجناسى لما طرشاربه * رخص البنان خلا من جلده الشعر
لم يعف من كبر حتى يراد به * من الامور ولا أزرى به الصغر

(وقال آخر)

فديتك انما اخترناك عمدا * لانك لاتحيض ولاتبيض
ولوملنا الى وصل الغوانى * لضاق بنسلنا البلد العريض

(وقال أبو نواس)

انى امرؤ أبغض النعاج وقد * يعجبنى من نتاجها الحمل
حتى اذا ما رأيت لحيته * فليس بينى وبينه عمل

(وكتب) بعضهم الى صديق له على ظهر

كتبت اليك فى ظهر لعلى * بانا معشر نهوى الظهورا
وان الصيد للغزلان خير * من السمك الذى يأوى البحورا

باب ذم الغلمان

قال بعض السلف لاتملؤا أعينكم من المردان فتنتهم كفتنة الغوانى وتربوعليها وقيل من أولع بحب الغلمان استهدف لالسن الطاعنين وقال ابن الرومى

حبك الغلمان ما * أمكن النسوان غبن

تذنيب مر بعض القضاة على أمرد جميل فاحدق له نظرا فبصق الغلام تلقاء وجهه مستهزءا فقال القاضي أتبع ريقك المعسول عنا وأنت على التراب به تجود (فاجابه الغلام بديهة) والله لو اقتصرت عليه جعلناه ولكن نحن نعلم ما تريد (ومن) ذلك قول بعضهم سالت من ريقه شربة يطفى بها عن كبدى سره فقال أخشى ياشدي الظما * أن تتبع الشربة بالجره

انما يعشق فى ظهر اذا عوزبطن

وقال الصابى

محاجة المرء فى الادبار ادبار * والمائلون الى الاحراء احرار
كم من ظريف نظيف بات ممتطيا * ردف الغلام فاضحى وهو عطار
تصفر أثوابه من ورس فقحته * فيستبين لذاك الخزى والعار
لايستطيع جحودا اذ تقذره * يوما وفى ثوبه للسلح آثار
كم بين ذاك ومن باتت مطيته * حوراء ناظرها بالغنج سحار
يقوم عنها وقد أهدت له أرجا * تضوعت من غوالى طيبه الدار
ليس الغلام لما عد لايقاس بها * وهل يقاس بعود الند أقذار
اياكم باتقائى من مخالتى * فلا يحد كم عن الاحراء احجار

وقال بعض الرؤساء استراح من اقتصر على النساء وقال بعض الحكماء الظرفاء اللواط ليس من الاحتياط وكان الاستاذ الطبرى يقول اجتماع الايرين فى لحاف واحد خطر عظيم وخطأ كبير وأنشد

عليك الاناث وايثارهن * ودع سيدى عنك ذكر الذكر
فليس اللواط من الاحتياط * وايران تحت لحاف خطر

* باب مدح الخط والعذار *

يقال هل يحسن الروض الا بزهره وقال بعض البلغاء أحسن مايكون وجه الامرد الصبيح اذا انتقش الخط فص وجهه وأحرق فضة خده وقال آخر خط الوجه الحسن كالسواد الخال فى القمر ومن أحاسن الشعر فى معناه للصاحب الجليل حيث قال

ان كنت تنكره فالبدر يعرفه * أو كنت تظلمه فالحسن ينصفه
ماجاءه الشعر كى يمحو محاسنه * وانما جاءه عمدا يغلفه

* وقال أبو الفرج الببغا *

ومهفهف لما اكتست وجناته * حلل المحاسن طرزت بعذاره
لما انتصرت على عظيم جفائه * بالقلب صار القلب من أنصاره

* وقال أبو نواس *

قد كان بدر السماء حسنا * والناس فى حبه سواء
فزاده ربه عذارا * تم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير * يزيد فى الخلق مايشاء

وقال أيضا من أين للرشأ الغرير الاحور * فى الخد مثل عذاره المتحدر
قمر كان بعارضيه كليهما * مسكا تساقط فوق ورد أحمر

﴿وقال الشهاب الحجازي﴾

ومهفهف ألحاظه وعذاره * يتعاضدان على فناء الناس
سفكا الدماء بصارم من نرجس * كانت حمائل غمده من آس

وقال آخر

وخط تم في حافات خـــد * له في كل يوم ألف عاشـــق
كأن الريح قد مرت بمسك * وذرت ما حوته على الشقائق

﴿باب ذم الخط والعذار﴾

قال بعض البلغاء اذا اختط الغلام استحال نور خده وجاوز مرذ خطه سببا ويقال عيب العذار يكسف الهلال ويحيل الخال ويمسخ الجمال وينقص الكمال وقال الشاعر

قلت لما تشوكت وجنتاه * وازال الظـــلام ضوء نهاره
أي شئ هذا فقال عجيبا * كل من مات سودوا باب داره

﴿وقال التنوخي﴾

قلت لاصحابي وقد مر بي * منتقبا بعـــد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودي قفوا * كي تبصروا كيف زوال النعم

﴿وقال بعض العصريين﴾

أخنى عليه الشهر والدهر * ومحا محاسن وجهه الشعر
ومن يصف ماقدها يقل * لا تعجبوا فقد يكسف البدر

(وقال آخر)

ما يفعـــل الله باليهود * ولا بعاد ولا ثمـــود
ولا بابليس اذ تأبى * يوم دعاه الى السجود
ولا بفرعون اذ تعدى * ما يفعل الشعر بالخدود
بينا يرى الامرد المفدى * كالبدر في ليلة السعود
اذ غمر الشعر عارضيه * وصار قردا من القرود

وقيل ليس بعد الشعر حسن

﴿باب مدح المماليك﴾

يقال العبد من لا عبد له ويقال الكلب ومن لا عبد له سواء وقال دعبل النسابة في المماليك هم عز مستفاد وفي كما الأعداء أوتاد وقال سعيد بن سالم لابد للعبيد من عبيد وكان يقال الاحسان الى العبيد مرضاة الرب ومسخطة العدو وكان جعفر بن سليمان يقول في العبيدان أكلوا من مالك زادوا في جمالك ويقال العيش في سعة الدار والعز في كثرة العبيد وقال آخر عز الملوك في كثرة المملوك وقال آخر رب عبد

خير من ولد لان الولد في أكثر الاوقات والاحوال يرى صلاحه في موت أبيه والعبد يرى صلاحه في بقاء سيده وأحسن ما سمعت في وصف مملوك ومدحه قول أبي عثمان الخالدي في شأن غلامه رشيد قال

ماهو عبد لكنه ولد * خولنيه المهيمن الصمد
وشد أزري بحسن خدمته * فهو يدي والذراع والعضد
صغير سن كبير منفعة * تمازج الضعف فيه والجلد
وورد خديه والشقائق والتفاح والجلنار منتضد
رياض حسن زواهر أبدا * فيهن ماء النعيم مطرد
معشوق الطرف كحله كحل * معطال الجيد حليه الجيد
وغصن بان اذا بدا واذا * شدا فقمري بانة غرد
مهذب خلقه فلا عوج * في بعض أخلاقه ولا أود
ما غاظني ساعة ولا صخب * يعرف منزلي ولا حرد
مسامري اذ دجا الظلام فلي * منه حديث كأنه شهد
خازن ما في يدي وحافظه * فليس شئ لدي يفتقد
يصون كتبي فكلها حسن * يطوي ثيابي فكلها جدد
وحاجبي فالخفيف محتبس * عندي به والثقيل مطرد
وحافظ الدار ان ركبت فما * على غلام سواه أعتمد
ومنفق مشفق على اذا * بذرت واسرفت فهو مقتصد
وأبصر الناس بالطبيخ فكالمسك القلايا والعنبر الثرد
وواجدني من المحبة والراحة أضعاف ما به أجد
اذا تبسمت فهو مبتهج * وان تغيرت فهو مرتعد
ذا بعض أوصافه وقد بقيت * له صفات لم يحوها العدد

* باب ذم المماليك *

من أمثال العرب ليس عبدك باخ لك ومنها الحر يعطي والعبد يألم قلبه ويقال الحر حر وان مسه ضر والعبد عبد وان كانت قلادته در * ومن الامثال ما أطيب الغنا لولا العبيد والاما (وقال ابن مفرغ الحميري)

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

وقال يزيد بن محمد المهلبي (شعر)

ان العبيد اذا أذللتهم صلحوا * على الهوان وان أكرمتهم فسدوا
ما عند عبد لمن يرجوه من فرج * ولا على العبد عند الخوف معتمد

فاجعل عبيدك أوتادا تشججها * لا يثبت البيت حتى يقرع الوتد
وقال بشار الحر يلحى أي يلام والعصا للعبد وقال سعيد بن محمد الطبري
وان الحر في الحالات حر * وان النذل يقرن بالعبيد
(وقال المتنبي)
العبد ليس لحر صالح بأخ * لو أنه في ثياب الحر مولود
لا تشتري العبد الا والعصا معه * ان العبيد لأنجاس مناكيد
وسئل بعضهم عن غلام له فقال يأكل فرها ويعمل كرها (وقال ابن الرومي)
لي خادم لا أزال أحسبه * يغيب حتى يرد مسغبه
نرسله لاشتراء فاكهة * فقصر ان تحتسا كثبه
كم قال ضيفي لما أن بعثت به * هيهات يوم الحساب منقلبه
وخلته قد سما الى كرم * رضوان لكي يجتني له عنبه
وانما زار مالكا فرأى * زقوم صدق فظل يشتهبه
هل مشتر والسعيد بائعه * أو قابل والسعيد من يهبه
أضر بالمسلمين جالبه * لا كان من جالب ولا جلبه
ومثله قول راشد الكاتب في ذم غلام له قد باعه وكان اسمه نفيسا فسماه خسيسا
بعنا خسيسا فلم يحزن له أحد * وغاب عنا فغاب الهم والنكد
أهون به خارجا من بين أظهرنا * لم نفتقده وكلب الدار يفتقد
قد عريت من صنوف الخير خلقته * فلا رواء ولا عقل ولا جلد
يدعو الفحول الى ما تحت مئزره * دعاء من في استه النيران تتقد
وقال فيه أيضا
عرضنا خسيسا فاحتمى كل تاجر * شراه وأعيا بيعه كل دلال
فما في يديه خدمة يشتهى لها * ولا عنده معنى يراد على حال
اذا لم يجد فيهم مقالا رماهم * ببعض عيوب الناس في الزمن الخالي
وان حملوه سرأمر أذاعه * وكاد هم فيه كيادة محتال
ترجم صروف الدهر من حمقاته * أعاجيب لم تخطر بوهم ولا بال
وما بات في قوم يحبون قربه * فأصبح الا والحب له قالي
بلى ليس يخلو من معايب أهله * وان أصبحوا في ذروة الشرف العالي
ويحتال في استخراج ما في بيوتهم * بما نصرت عنه يدا كل محتال
ويعبث بالجيران حتى يعلهم * ويبرم أهل الدار بالقيل والقال

أقول وقد مروا به يعرضونه * الى النار فاذهب لا رجعت ولا مالى

باب مدح الخصيان

كان يقال الخصيان ملائكة بنى آدم وقيل لابى العيناء لم اتخذت غلامين أسودين خصيين فقال اتخذتهما أسودين لئلا أتهم بهما وخصيين لئلا يتهما بى وعرض على بعض الملوك غلام صبيح خصى فقال هذا يصلح للفراش والهراش وكان بعضهم يتخذ الخدم الخصيان ويختار منهم البيض الحسان فقيل له فى ذلك فقال لانهم بالنهار فوارس وبالليل هرائس وفيهم يقول الشاعر

هم نساء لطهن مقيم * ورجال ان كانت الاسفار

وفيهم يقول محمد بن الخلوع

مبرؤن من الشعر الكريه ومن * حمل الايور واخراج المثانين
وهم نساء اذا حاولت خلوتهم * وهم رجال لدى الهيجاء يحموني

باب ذم الخصيان

قال الجاحظ الخصى اذا قطعت خصيته قويت شهوته وسخنت معدته ولانت جلدته وانجردت شعرته واتسعت فقحته وكثرت غلمته وغزرت دمعته ويقال من جب زبه ذهب لبه وقال المتنبى فى معناه

لقد كنت أحسب قبل الخصى * بان الرؤس مقر النهى
فلما نظرت الى عقله * رأيت النهى كلها فى الخصى

(ومما يستظرف للجزار قوله فى خصى اسمه سنان كان يعشق جارية)

ما للمغيض سنان * وللوجوه الملاح * اليس زان خصى * غاز بغير سلاح

ووصف الجزار رجلا بالرعونة فقال مثله كمثل الخصى يسخن من زب مولاه ونظر خصى الى أقلف فى الحمام فقال الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده فقال له الاقلف كل من له خصيتان له فضل عليك وابلغ ما قيل فى ذم الخصى قول بعض السلف لم يلده مؤمن ولم يلد مؤمنا

باب مدح النبيذ

قال كسرى النبيذ صابون الهم * ومن هذا أخذ الشيخ بدر الدين السبكى

وكنت اذا الحوادث دنستنى * فزعت الى المدامة والنديم
لأغسل بالكؤس الهم عنى * لان الراح صابون الهموم

وقال ارسطاطاليس الراح كيمياء الفرح

ومن هنا أخذ ابن الوكيل

وليست الكيمياء في غيرها وجدت * وكل ما قيل في أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعود في الحال أفراحا وينقلب

وقال جالينوس الراح صديق الروح وقال آخر الراح درياق الهموم نأخذه ابن الوكيل فقال ان الذي جعل الهموم عقاربا * جعل المدام حقيقة درياقها

وقال عبد الملك بن صالح الهاشمي ما جشت الدنيا ما اظرف من النبيذ وقال في المبهج لكل شيء سرور وسرور النبيذ السرور وفيه الدنيا مشوفة وريقة الراح وقال الجاحظ ان النبيذ اذا تمشى في اعضائك ودب في أجزائك مضلك صدق الحس وفراغ النفس وجعلك خلي الذرع نقي الطبع قرير العين منشرح الصدر حسن الظن صافي الذهن وسد عنك باب الغم وحسم عنك خاطر الهم وحسر عنك عارض السقم وهو الذي يرد الشيوخ الى طبائع الشبان والشبان الى طبائع الصبيان (شعر)

أعاذل ان شرب الراح رشد * لان الراح تأمر بالسماح
تقيناشح أنفسنا وذا كم * اذا ذكر اله لاح من الفلاح

وقيل لابن نعيم ما تقول في النبيذ المصفى الصفق المروق المروى المعسل المعتق بتعلل يتماق ويقول أخاف أن لا أستقل بشكر الله على هذه النعمة الجزيلة الجملة وكان مطيع بن اياس يقول ان في النبيذ لمعنى في الجنة لان الله تعالى يقول حكاية عن أهلها الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن والخمر يذهب الحزن وقال أبو عثمان لو نطق النبيذ لشكر ابن الرومي على قوله فيه

والله ما أدري لأية علة * في الراح يدعوها الفتى بالراح
ألريحها من روحها تحت الحشا * أم لارتياح نديمها المرتاح

وقيل لابن عائشة القرشي ان فلانا لا يشرب النبيذ فقال ويله قد طلق الدنيا ثلاثا وقيل للاعمش مثل ذلك فقال دعوه يقتله القولنج وقيل للرقاشي لم أولعت بالشراب فقال لانه يقدح في يدي نورا وفي قلبي سرورا وقال حسان بن ثابت

اذا ما الاشربات ذكرن يوما * فهن لطيب الراح الفداء
ونشربها فتتركنا ملوكا * وأسدا لا ينهنهنا اللقاء

(وقال غيره)

وان رضاع الكاس أعظم حرمة * وأوجب حقا من رضاع لبان

وقال آخر ما بيننا رحم الا ادارتها * والراح حرمتها أولى من الرحم

(وقال المأمون)

أما ترى الدهر لا تفنى عجائبه * والدهر يخلط معسورا بميسور
وليس للهم الا شرب صافية * كأنها دمعة من عين مهجور

﴿وقال ابن الرومي﴾

خل الزمان اذا تقاعس أو جمح * واشك الهموم الى المدامة والقدح
واحفظ فؤادك ان شربت ثلاثة * واحذر عليه أن يطير من الفرح
هذا دواء للهموم مجرب * فاسمع نصيحة حازم لك قد نصح
وودع الزمان فكم نصيح حازم * قد رام اصلاح الزمان فما صلح

﴿وقال هبة الله بن المنجم﴾

الراح في ابريقها * أحسن روح في جسد فهاتها نصلح بها * من الزمان ما فسد

﴿ولمؤلف الكتاب في صباه﴾

وعقار عيش من * عاقرها عيش أنيق * فهي للانس نظام
والى اللهو طريق * وهي للارواح في * أبدا تانع الصديق
قلت لما لاح لي * منها شعاع وبريق * أشقيق أم عقيق
أم حريق أم رحيق

﴿باب ذم النبيذ﴾

في الحديث المرفوع جمع الشر كله في بيت وجعل مفتاحه الخمر (وفي) المبهج الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور (وعاتب) ابن الضحاك بن مزاحم صديقا له على شرب النبيذ فقال انما أشربه لانه يهضم الطعام فقال ما يهضم من دينك أكثر (وقيل) لبعض الحكماء اشرب معنا فقال أنا لا أشرب ما يشرب عقلي (وقيل) لبعضهم النبيذ كيمياء الطرب فقال نعم ولكنه داعية الحرب (وقال) آخر لابنه يا بني اياك والشراب فانه مفسدة الدين والمال (وأنشدني) أبو الفضل عبد الله بن أحمد

تركت النبيذ وشرابه * وصرت صديقا لمن عابه
شراب يضل طريق الهدى * ويفتح للشر أبوابه

﴿باب مدح الصبوح﴾

كان بعضهم يقول الشراب ما كورة الحياة وبكر الشهوات والشرب في شباب النهار أقوى لاسباب الانس وأدعى لاطراب النفس وأجمع لشمل اللهو وآخذ لحظوظ الشهوة

وقال آخر ان شرب المدام سير الى اللهو وخير المسير صدر النهار

(ولذلك) قال ابن المعتز * اسقني الراح في شباب النهار * وعلى طريقته قال العلوي الحماني ان صدر النهار أنضر شطريه كما نضرة الفتى في فتائه

(ولابن) المعتز دوحة تقع في هذا الباب

لى صاحب قد لامنى وزادا * فى تركى الصبوح ثم عادا
قال ألا تشرب بالنهار * وفى ضياء الفجر والاسفار
اذا وشى بالليل صبح فافتضح * وذكر الطائر شجوا وانصدح
ونفض الليل على الروض الندى * وحركت أغصانه ريح الصبا
وقال شرب الليل قد آذانا * وطمس العقول والاذهانا
ألا ترى البستان كيف نورا * ونشر المنثور بردا أصفرا
وضحك الورد الى الشقائق * واعتنق القطر اعتناق الوامق
فى روضة كحلل العروس * وزهرة كهامة الطاوس
وياسمين فى ذرى الاغصان * منتظم كقطع العقيان
(وقال ابن الحجاج) الصبح مثل البصير حالا * والليل فى صورة الضرير
فليت شعرى بأى حال * يختار اعمى على بصير

* باب ذم الصبوح *

أحسن واجمع ما قيل فى ذم الصبوح قول ابن المعتز فى المزدوجة

اسمع فانى للصبوح عائب * عندى من أخباره عجائب
اذا أردت الشرب قبل الفجر * والنجم فى لجة ليل يسرى
وكان برد فالنديم مرتعد * وريقه على الثنايا قد جمد
وللغلام ضجرة وهمهمه * وشتمة فى صدره مجمجمه
يمشى بلا رجل من النعاس * ويدفق الكاس على الجلاس
وان أحس من نديم صوتا * قال مجيبا طعنة وموتا
وان يكن للقوم ساق يعشق * فجفنه بجفنه ملتصق
ورأسه كمثل روض قد مطر * وصدغه كالصولجان المنتشر
أعجز عن سواكه وزينته * وهيئة تنضر حسن صورته
يخدمهم بسمج مطاول * ويمسح الكأس بلا منديل
وان طردت البرد بالستور * وجئت بالكانون والتنور
فاى فضل للصبوح يعرف * على الغبوق والظلام يسدف
وقد فسدت شرر الكانون * كانه نثار ياسمين
وتركت البساط بعض الجهد * ذا نقط سود جلد الفهد
حتى اذا ما ارتفعت شمس الضحى * قيل فلان وفلان قد أتى
وربما كان ثقيلا يحتشم * مطول الكلام حينا ونخم
ورفع الريحان والنبيذ * وزال عنك عيشك اللذيذ

ولست فى طول النهار آمنا * من حادث لم يك قبل كائنا
أو خمر بكره أو كتاب * يقطع أنس اللهو والشراب
واسع الى مشارب الصبوح * فى الصيف قبل الطائر الصدوح
حين حلا النوم وطاب المضجع * وذكر الحر ولذ المهجع
فقرب الزاد الى نيام * السنهم ثقيلة الكلام
وللغنى عارض فى حلقه * ودمعه قد قدحت فى عينه
وان أردت الشرب بعد الفجر * والصيف قد سل سيوف الحر
فساعة ثم تحمل الدامغه * بنارها ولا تسوغ سائغه
ويسخن الشراب والمزاج * ويكثر الخلاف والضجاج
من معشر قد جرعوا الحميا * وأطمعوا من زادهم سموما
وصار ريحان لهم كالقت * وكلهم لدائهم ذو مقت
وبعضهم عند ارتفاع الشمس * يحس جوعا مؤلما للنفس
وان دعى الساقى بالطعام * خيط جفنيه على المسام
لم يلف الادنس الاثواب * مهوسا يسىء للاصحاب
ذا شارب وظفر طويل * ينفض الزاد على الاكليل
ومقلة مبيضة المآق * وأذن كعقة الدرياق
وجسد عليه جلد من وسخ * كأنه شرب نفطا ولطخ
هذا كذا وما تركت أكثر * فجربوا ما قلته وفكروا

وله أيضا

لا تدعنى لصبوح * ان الغبوق حبيبى
فالليل لون شبابى * والصبح لون مشيبى

ولبعضهم

الوجه مثل الصبح مبيض * والشعر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسنا * والضد يظهر حسنه الضد

وللبستى

بدا لى فى الصبا لما بدا لى * نهار الشيب فى ليل القذال
كأن الشعر شرب كان صفوا * فشابته الليالى بالقذالى

باب مدح السماع

قال بعض الفلاسفة أمهات لذات الدنيا أربع لذة الطعام ولذة الشراب ولذة النكاح ولذة السماع فاللذات الثلاث لا وصول الى كل الا بحركة وتعب ومشقة ونصب ولها مضار اذا استكثر منها وأما لذة السماع قلت أو كثرت صافية من التعب خالصة من المصب خالية من الوصب (وقد) نظم ذلك من قال

وجدت رئيسة اللذا * ت أربعة متى تحسب

فمنها لذة المشرب ✽ والمطعــــم والمشرب
ونبــقى بعدها أخرى ✽ من الصوت الذى يطرب
وهــذى قد تفيد النفس ابهاجا ولا تنصب
ومامــــن لذة من تالث الاوهى قــد تتعب

(قال) مؤلف الكتاب ومن خصائص السماع انه لا يعجزه ولا يحجبه شئ وان الجمع بدنه وبين كل عمل ممكن وان الابل والخيل تسطيه وترقص عليه والصبيان الرضع تستلذه وتسكن اليه والوحوش والطيور تسكن الى فاذقه وتعرج عليه (وكان) بعض فقهاء المتكلمين يقول قد اختلف الناس فى السماع فاباحه قوم وحذره آخرون وأنا أخالف الفريقين تاقول انه واجب لكثرة منافعه ومرافقه وحاجة الناس اليه وحسن آثاره فى اصحابه (وكان) عبدالله بن جعفر يقول انى لاجد للسماع أريحية ولو سئلت عندها أعطيت ولو قاتلت أبليت (وسمع) معاوية عند عبدالله بن جعفر الغناء فحرك رأسه ورجليه وصفق بيديه ثم لما أفاق رأيه اليه قال كالمعتذر منه ان الكريم طروب ولا خير فيمن لا يطرب (وكان) مروان ابن أبى حفصة اذا تغدى عند اسحاق الموصلى يقول له أطعمونا آدابنا رحمك الله (وكان) يحيى ابن خالد البرمكى يقول خير الغناء ما اشجاك وأرقك وأطربك وألهاك (ويقال) ان الغناء غذاء الروح كما أن الطعام والشراب غذاء البدن

(ومن) احسن ما قيل فى الغناء قول بعضهم

غنت فلم تبق فى جارحة ✽ الا تمنيت انها اذن

✽ باب ذم السماع ✽

قال الحطيئة لقوم نزل بهم جنبوا نساءكم الغناء فانه رقية الزنا (وسمع) سليمان بن عبد الملك ذات ليلة فى معسكره غناء فأمر بصاحبه أن يخصى ثم قال ان الفرس ليصهل فتستودق الرمكة وان الجمل ليرغو فتضبع له الناقة وان الرجل ليغنى فتغتلم له المرأة (وكان) الكندى يقول لابنه اياك والسماع فانه برسام حاد وذلك ان المرء يسمع فيطرب ويطرب فيسمح ويسمح فيعطى ويعطى فيفتقر ويفتقر فيغتم ويهتم فيمرض ويمرض فيموت (وكتب) البديع فى رقعة الى تلميذ له توفى ابوه وخلف مالا يا مولاى ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا والعاقل فقرا بل وقرا وذلك الخارج من الناى هو الموم فى الآذان زمر وغدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعة وانقطار فى هذا الامل ضاعة (وطلب) بعض المغنين جائزة من بعض المحصلين فقال له اعلم ان المال روح والغناء ريح ولست أشترى الريح بالروح (ونظمه) الشيخ الامام فقال

ألا ان الغنا للمرء روح * وان غناه فى الآذان ريح
وما يحصل عقلا ودينا * ليذهب منه بين الريح روح

باب مدح الزجاج

(مدح) سهل بن هارون الزجاج ووصفه فى بعض مجالس الملوك فقال الذهب مخلوق والزجاج مصنوع وفضيلة الذهب بالصلابة وفضيلة الزجاج بالصفاء ثم ان الزجاج أبقى على الدفن وهو مجلو نورى والذهب متاع ساتر والشراب فى الزجاج أحسن منه فى كل جوهر ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل فى اليد ولا يرتفع فى السوم وقدور الزجاج أطيب من قدور الحجارة وهى لا تصدأ وان اتسخت فالماء وحده لها جلاء ومتى غسلت بالصابون صارت جددا والزجاج أشبه شئ بالماء وصنعته عجيبة وصفته غريبة وصياغته أغرب وأعجب ومن كرع فيه لشرب ماء فكأنما شرب فى اناء من ماء وهواء وضياء ومرآته المركبة فى الحائط أضوأ من مرآة الفولاذ والصور فيها أبين ويقدح النار من قنينة الزجاج اذا كان فيها ماء محاذ عين الشمس لان طبع الزجاج والماء والهواء والشمس من عنصر واحد وليس فى كل ما يدور الفلك عليه جوهر اقبل لكل صبغ واجدر أن لا يفارقه منه حتى كان ذلك الصبغ جوهره ومتى سقط عليه ضياء أنفذه الى الجانب الآخر وأعاره لونه وان كان الجام ذا الوان أراك بياض البيت أحسن من وشى صنعاء ومن ديباج تستر ولم يتخذ الناس آنية أجمع لما يريدون منه وقال الله تعالى عز ذكره قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير وقال عز ذكره وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا واشتق الفضة من اسمها على ان الزجاج أقطع من السيف وأحد من الموسى واذا وقع المصباح على جوهر الزجاج صار مصباحا آخر ورد كل واحد منهما الضياء على صاحبه واعتبر واذلك الشعاع الذى على وجه الماء وعلى الزجاج ثم انظروا كيف يتضاعف نوره حتى يكاد يغشى عين الناظر اليه قال الله تعالى الله نور السموات و الارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا عبث فى الاناء كلمت فى وجهه مردة الجن والشياطين فعلمه الله صنعة الزجاج

باب ذم الزجاج

احسن ما ذم به الزجاج قول النظام فانه أخرجه فى كلمتين باوجز لفظ واتم معنى فقال أيسرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر ومن هنا قال الشاعر

احرص على حفظ القلوب من الأذى * فرجوعها بعد التنافر يعسر

ان القـــلوب اذا تنافـر ودها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

وقال آخر وهشيم الزجاج أرجى صلاحا * من فساد القلوب بعد الصلاح

(قال مؤلف الكتاب) ليس الزجاج من حسن المتاع وهو على مدرجة الهلاك والضياع لان الآفات ترفرف عليه والعاهات تسارع اليه وكلما كان أثمن وأقوم كان الخطر فيه أشد وأعظم وما احتاط على ماله من غالى به وأسرف فى ثمنه * وكتب مروان بن محمد الى بعض الخوارج انى واياك كالحجر والزجاجة ان وقع عليها رضها وان وقعت عليه فتها وكما قال الشاعر

وآلت يمينا كالزجاج رقيقة * وما حلفت الا لتحنث من أجلى

وقال المعرى يعاتب صديقا له على سر أذاعه

سرى لديك كاسرار الزجاجة لا * يخفى على العين منها الصفو والكدر

فاحذر من السر كسر الا انجبار له * فالزجاجة كسر ليس ينجبر

وقال ابن علان النهروانى للزجاج أخوى

لك عهد قد حبرنا * ه فأعيتنا صدوعه

فاذا وذلك مما * كنت بالامس تبيعه

باب مدح الذهب

(قال) شداد الحارثى الذهب أبقى الجواهر على الدفن واصبرها على الماء واقلها نقصانا على النار وهو أوزن من كل شئ اذا كان فى مقدار شخصه وجميع جواهر الارض اذا وضع على الزئبق فى انائه طفا ولو كان ذا وزن ثقيل وحجم عظيم ولو وضعت عليه قيراطا من الذهب لرسب حتى يضرب قعر الاناء ولا يجوز ولا يصلح أن تشد الاسنان المنتزعة بغيره ولا يوضع فى مكان الانوف المصطلمة سواه وميله أجود الاميال واهل الهند تهزه فى العين بلا كحل ولا ذرور لصلاح طبعه وموافقته بجوهره لجوهر الناظرين وله حسن وبهاء فى العيون وحلاوة فى الصدور ومنه الزريابات والصفائح التى تكون فى سقوف الملوك وعليه مدار التبايع منذ الزمان الاول والدهر الاطول وهو ثمن لكل شئ وهو فوق الفضة مع حسنها وكرمها باضعاف وأضعاف أضعاف والارض التى تنميه وبسلم عليها تحيل الفضة الى جوهرها فى السنين اليسيرة والمدة القصيرة وتقلب الحديد الى طبعها فى الايام القليلة والاوقات الضئيلة والطبيخ الذى يكون فى قدره أغذى وأمرأ وأصح فى الجوف وأطيب (وسئل) أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه عن الكبريت الاحمر فقال هو الذهب وقال النبى صلى الله عليه وسلم لو أن لى طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع فاجراه فى ضرب المثل به كل مجرى وقال الله تعالى حكاية عن شأن الكفار ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار

فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به فدل على عزته وعظيم قدره وقال أبو يزيد البلخي معلوم أنه ليس من الجواهر الموجودة في العالم أطول بقاء من الذهب لما يرى من انقضاء الزمان بدون فساد يعرض عليه حتى ان العامة لتحكم انه جوهر لا فساد فيه البتة وانما خص بهذا البقاء الطويل وابطاء آفات التغير بسبب اعتدال مزاجه في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فان كل ما خرج من الاشياء المركبة عن الاعتدال الى افراط كيفية من الكيفيات الاربع أسرع اليه الفساد لغلبة تلك الكيفية ولذلك الفساد الذي هو ضد الكون سببه الخروج عن الاعتدال ولصحة مزاجه لم يوجد فيه صدأ كغيره من الجواهر والسهولة شيء لم توجد في غيره اذ كل ما عداه يكسب الاطعمة والاشربة المجعولة فيه نوعا من فساد الطعم والرائحة وكل ما أكل وشرب فيه وجد سليما من هذا العارض ولذلك اختار الملوك العظماء الاكل والشرب فيه ووعد الله عباده به في دار الثواب فقال سبحانه يطاف عليهم بصحاف من ذهب كما قال في باب الحلية وازينة جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب وذلك لما كانت العادة به من متنعمي الملوك في هذه الدنيا بان يحلوا أعضاءهم الشريفة بالذهب وكذلك شأنهم اذا بالغوا في اكرام من يثقون منه على بلاء عظيم في الحرب والدفاع عن حوزة الملك ولجلالة قدره ما حكى الله عز اسمه في قصة موسى عن فرعون فلولا ألقى عليه اسورة من ذهب * ومن أحسن ما قيل في وصف الذهب قول قدامة حكيم الشرق الذهب نسيم مركوم وشعاع معقود فأتى بعلة عجيبة حيث ذكر انه شعاع الشمس وقد انعقد فصار جمادا * وفي المبهج الذهب خير مال حاضر لباد أو حاضر (وقال أيضا) من ملك الصفر والبيض أبيض وجهه واخضر عيشه واسود وجه عدوه

* باب ذم الذهب *

قال سهل بن هرون الذهب اسم يتطير منه ولا يتفاءل به ومن لؤمه اسراعه الى بيوت اللئام وابطاؤه عن بيوت الكرام (المتنبي في معناه)

شبيه الشيء منجذب اليه * وأشبهنا بدنيانا الطغام

وما أنا منهم بالعيش راض * ولكن معدن الذهب الرغام

والذهب فتان لمن أسامه ويقال الذهب من مصائد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران وقلت في المبهج ما أسرع ذهاب الذهب وانفضاض الفضة

* باب مدح الشطرنج *

أحسن ما فيه قول ابن المعتز

يا عائب الشطرنج من جهله * وليس في الشطرنج من باس
في فهمها علم وفي لعبها * شغل عن الغيبة للناس
وتذهل العاشق عن عشقه * وصاحب الكاس عن الكاس
وصاحب الحرب بتدبيرها * يزداد في الشدة والباس
وأهلها في حسن آدابهم * من خير أصحاب وجلاس

وقال ابن الرومي في معناه يمدح الشطرنج والنديم احسن

فتى نصب الشطرنج نماري بها * عواقب لا تسمو بها عين جاهل
وأجدى على السلطان في ذاك أنه * يزيد بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته * مثال لتصريف القنا والقنابل
تأمل نجاه في دقائق هزله * تجده نجاه في الخطوب الجلائل

(وسئل) محمد المزني عن المتلاعبين بالشطرنج فقال اذا سلمت أيديهما من الضرب والخسران وألسنتهما من الفحش والعدوان وصلاتهما من السهو والنسيان كانت أدبا بين الاخوان والخلان * وكان المأمون يقول عجبت من ذراع في ذراع يدبرها العقلاء منذ دهر طويل فلم يقفوا لها على غاية (وكان) سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول ما وضع هذا الشطرنج الالامر عظيم

باب ذم الشطرنج

ذكر الصولي في كتاب شعراء مصر أن الخراساني الشاعر كان حاذقا بلعب الشطرنج فعابها الحسين بن محمد مكايدة له فقال صاحبها أبدا مشغول مهموم يحلف بالله كاذبا ويعتذر مبطلا ويشتم نفسه ويسخط ربه وكل صناعة لا تجوز المكابرة بها غيرها فان صاحبها يلعب في ساعة فتنقضي دعواه وهي لعب الصائم اذا جاع والعامل اذا عزل والمخمور حتى يفيق والعاشق خشب هزم خشبا ولعب أورث من غير طائل تعبا ثم ان الرجل ليسأل عن غلامه فيقال هو يلعب فيشتمه ولا يستحي أن يقول تعالوا حتى نلعب الشطرنج وانت تقول في الكناس ما أحذقه وفي الطنبوري ما أضربه فاذا عبرت عن الشطرنجي قلت ما ألعبه فما تقول في العبارة عن صناعة الكناس أحسن من العبارة عن صاحبها * وفي كتاب يتيمة الدهر لمؤلف هذا الكتاب ان أبا القاسم الكسروي كان يبغض الشطرنج ويذمها ولا يقارب من يشتغل بها ويطنب في ذكر عيوبها ويقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا نبيلا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج فاذا أجرى شئ منها قيل جاء الزمهرير ولا يتمثل بها الا فيما يعاب ويكره فاذا أخذت البيلزان قيل قد فرزنت واذا كان مع الغلام الصبيح رقيب ثقيل قيل معه فرزين بند واذا استقر رقد الانسان قيل كأنه بيدق

الشطرنج واذا رؤى طفيلي يكثر الاكل على المائدة ويسيء الادب في المؤاكلة قيل انظروا الى يد هذا الكشخان كأنها الرخ في الرقعة واذا روى زيادة لا يحتاج اليها قيل زيد في الشطرنج بغل واذا سب رجل ساقط المروءة قيل من أنت في الرقعة واذا ذكر وضيع ارتفع قيل متى تفرزنت يا بيدق

(باب مدح النرجس)

قال جالينوس من كان له رغيفان فليجعل أحدهما في ثمن النرجس لان الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح (وكان) أنوشروان ينظر الى النرجس ويشبهه بالعيون ويقول اني لأستحي أن أجامع في بيت فيه نرجس (وكان) الحسن بن سهل يقول من أدمن شم النرجس في الشتاء أمن من البرسام في الصيف (ووصف) بعض البلغاء النرجس فقال كأن عينه عين وورقه ورق وساقه زمرد * وقد أكثر الشعراء في وصفه فقال أبو نواس

تأمل في نبات الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * بأبصار هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك

(ولبعضهم)

يا صاح ان وافيت روضة نرجس * اياك فيها المشي فهو محرم
حاكت عيون معذبي بذبولها * ولأجل عين ألف عين تكرم

وابن الرومي فضله على الورد بقوله

خجلت خدود الورد من تفضيله * خجلا توردها عليها شاهد
لم يخجل الورد المورد لونه * الا وناحله الفضيلة عائد
للنرجس الفضل المبين وان أبى * آب وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية أن هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
وان احتفظت عليه أمتع صاحب * وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بعقلك في الملاح سميه * أبدا فانك لا محالة واجد
والورد ان فتشت في أسمائه * ما في الملاح له سمي واحد
هذي النجوم هي التي قد ربت * بيد السحاب كما ربى الوالد
فانظر الى الاخوين من أدناهما * شبها بوالده فذاك الماجد
أين الخدود من العيون نفاسة * ورياسة لولا القياس البارد

(وله أيضا فيه)

أرى حسن هذا النرجس الغض مخبرا * عن الله أن ليس النبيذ محرما

باب

﴿باب ذم النرجس﴾

لما فضل ابن الرومي النرجس على الورد تصدى له الشعراء بالمناقضة والمعارضة فقال ابن الحاجب

يا ذا الذي للحق ظل يعاند * وقد استبان له الطريق القاصد
قايست نرجسك الذي فضلته * بالورد يا هذا قياسك فاسد
وعدلت عن عدل الحكومة جائرا * بقضية فيها عليك أوابد
وجهلت أصلك أن هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
والنرجس البادي وليس مفضلا * والورد بعد النور أجمع وارد
واذا الجيوش تتابعت في موكب * فبآخر منها يجيء القائد
وأجل من عين بشين بياضها * لون من اليرقان أصفر بارد
خد تورّد لونه لنعيمه * فعليه من خلع الربيع مجاسد
والورد ساق مستقر أصله * والنرجس المضفوف غصن مائد
فتأمل الاثنين أيهما رست * اعراق منصبه فذاك الماجد
ما آخر الورد الخطير مقدما * للنرجس المرذول الا حاسد

(وقال أبو العلاء السروي)

انظر الى نرجس تبدت * صحاف العينيك منه طاقه
واكتب أسامي مشبهيه * بالعين في دفتر الحماقه
وأي حسن يرى لطرف * مع يرقان يحل ماقه
كوبة ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

(وقال آخر) قد أجاد الورد حجته * في مقال غير ذي خطل
قال لي أبصرت نرجسة * غضة في كف ذي غزل
فهي تحكي عين ذي مرض * يقطع الايام بالعلل

﴿باب مدح الورد﴾

قال ابن سكرة الهاشمي

للورد عندي محل * لانه لا يمل
كل الرياحين جند * وهو الأمير الأجل

(ولآخر) كتب الورد الينا * في قراطيس الخدود
يا بني الصهباء صلوني * قد دنا وقت الورود

(وقال أبو الفرج الببغا)

زمن الورد أظرف الازمان * وأوان الربيع خير أوان
أشرف الزهر زاد في أشرف الدهر وفصل فيه أشرف الفتيان

وعهدي بغير واحد من الفضلاء يستظرف قول ابن أبي البغل

تمتع من الورد القليل بقاؤه * كأنك لم يفجأك الافناؤه
وودعه بالتقبيل والشم والبكا * وداع حبيب لا يطول بقاؤه

ومما يدخل على الاذن بلا اذن قول على بن الجهم

زائر يهدى الينا * نفسه في كل عام
حسن الوجه زكي الريح الف للمدام
عمره خمسون يوما * ثم يمضى بسلام

وقوله ما أخطأ الورد منك شيأ * حسنا وطيبا ولا ملالا
أقام حتى اذا أنسنا * بقربه أسرع انتقالا

(وقال) مؤلف الكتاب في المبهج اذا ورد الورد صدر البرد

* باب ذم الورد *

كان ابن الرومي يذم الورد ويهجنه لانه كان يزكم من رائحته وقد قال في ذمه وهو من نوادر التشبيه

وقائل لم هجرت الورد مقتبلا * فقلت من قبحه عندي ومن سخطه
كأنه سرم بغل حين أخرجه * عند البراز وباقي الروث في وسطه

(ولغيره) النرجس الغض لربات الغنج * والورد من شم زناة وهمج
أما تراه حين يبدو طالعا * كأنه سرم حمار قد خرج

وبلغني أن الامير خلف بن أحمد كان ينشد كثيرا قول البستي

لا يغرنك انني لين المس * لانى اذا انتضيت حسام
أنا كالورد فيه راحة قوم * ثم فيه لآخرين زكام

* باب مدح الشتاء *

أحسن ما قيل فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه وقد أحسن أبو تمام في قوله

ان الشتاء على شآمة وجهه * لهو المفيد طلاوة المصطاف

وقال آخر لولا الذي غرس الشتاء بكفه * قاسى المصيف هشائما لا تثمر
وقال آخر خضرة الصيف من بياض الشتاء * وابتسام الثرى بكاء السماء

(وقال مؤلف الكتاب) ومن محاسن الشتاء طول الليل الذي جعله الله سكنا

ولباسا

ولباسا وبرد الماء الذي هو مادة الحياة وانقطاع الذباب والبعوض وعدم ذوات السموم من الهوام وأمنها على الطعام والاجسام وهو حبيب الملوك والمترفين لطيب الهم فيه الاكل والشرب ويجتمع فيه الشمل ويظهر فيه فضل الغني على الفقير وهو زمان الراحة كما أن الصيف زمان الكد ولذلك قالوا من لم يغل دماغه صائفا لم تغل قدوره شاتيا كما قيل

وان الذي لم يغل صيفا دماغه * كذلك لا تغلي شتاء قدوره
كذلك مقسوم المعايش في الورى * بسعي ورعي تستتب أموره

(ومدح) بعض الحكماء الشتاء فقال آكل فيه ما جمعت وأستمتع بما ادخرت وأي شيء أحسن من كانون ... ولبس الخز والسمور والتعود في الطوارم مع الاحباب وتدارك ... الكتاب والاستظهار على البرد بالشراب والشرب على الثلج يثلج الصدور وقال بعض الكتاب

ليت الشتاء يدوم لي بنعيمه * ان الشتاء غنيمة الكتاب
قصر النهار وطول ليل مقيم * فيه تلذ بقينة وشراب

باب ذم الشتاء

أحسن ما قيل في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم احذروا البرد فانه قتل أخاكم أبا الدرداء قال بعض السلف الشتاء عدو الدين وهلاك المساكين * وفي الخبر الحر يؤذي والبرد يقتل وقال الجاحظ الشتاء عند الناس هو الكلب الكلب والعدو الحاضر يتأهب له كما يتأهب للعدو ويستعد له كما يستعد للحرق والغرق * وقال مؤلف الكتاب الشتاء عذاب وبلاء وعقاب ولأواء يغلظ فيه الهواء ويقشعر له الماء وتخصر الأطراف وما ظنك بما يزوي الوجوه ويعمش العيون ويسيل الانوف ويغير الالوان ويقشف الابدان ويميت كثيرا من الحيوان وكم فيه من يوم أرضه كالقوارير اللامعة وهواؤه كالزنابير اللاسعة وليل يحول بين الكلب وهريره والاسد وزئيره والطير وصفيره والماء وخريره وقال آخر نحن في الشتاء بين لثق وزلق ودمق وقال الشيخ الامام رحمه الله تعالى

نحن في شتوتنا في قلق * وتمادي شفق في فرق
ليس يخلو يومنا والليل من * لثق أو زلق أو دمق

باب مدح الصيف

يقال الصيف خفيف المؤنة جليل المعونة كثير النفع قليل الضر وهو أم الحب والرياحين وبنات البساتين وراحة الفقراء والمساكين وستر الضعفاء والمقلين

والعون على عباده رب العالمين وطبعه طبع الشباب الذى هو بأكورة الحياة كما أن الشتاء طبعه الهرم الذى هو بأكورة العدم

﴿ باب ذم الصيف ﴾

فى الحديث المرفوع شدة الحر من فيح جهنم وقلت فى المبهج حر الصيف كحد السيف وقلت أيضا

﴿ رب يوم هواؤه يتلظى ﴾ فيه يشكى فؤاد صب متيم
قلت اذ خد حره حر وجهى ﴾ ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

(وكتب) بعض الكتاب الى بعضهم أشكو الى مولاى صيفا لا يطيب معه عيش ولا ينفع به ثلج ولا خيش (وكتب آخر) كيف لى بالحركة وقد قوى سلطان الحر وفرش بساط الجمر لا سيما وفيه الهاجرة التى هى كقلب المهجور والتنور المسجور (وكتب آخر) لا مرحبا بالصيف من ضيف فهو عون على الحيات والعقارب وأم الذباب والخنافس وطير البق الذى هو آفة الخلق ثم قال فيه

من كل سائلة الخرطوم طاغية ﴾ لا يحجب السجف مسراها ولا الكلل
طافوا علينا وحر الصيف يطبخنا ﴾ حتى اذا نضجت أجسامنا أكلوا

﴿ باب مدح المطر ﴾

قال الله تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته يعنى المطر وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكشف رأسه للمطر تعرضا لرحمة الله تعالى وقال عز وجل وأنزلنا من السماء ماء طهورا وقال سبحانه وتعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا ﴾ وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول من كان له داء قديم فليستوهب امرأته درهما من مهرها وليشتر به عسلا ويشربه بماء السماء ليكون قد اجتمع له الهنىء والمرىء والشفاء والمبارك وهو مأخوذ من قوله تعالى فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وقوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقول المطر بعل الارض يعنى أنه يلقحها ومنه أخذ ابن المعتز قوله

ومزنة مشعلة البوارق ﴾ تبكى على الارض بكاء العاشق
تلقح بالقطر بطون الثرى ﴾ والقطر بعل التربة العاتق

(وقال بعض البلغاء) مرحبا بالغيث الذى أغاث الانام وأروى الهضاب والآكام وأحيا النبات والسوام وقال آخر يا فرحتا بالغيث الذى أحيا الورى وروى الثرى ونبه عيون النور من الكرى وقال أبو تمام

غيث أتانا مؤذنا بخفض * قضت به السماء حق الارض
يمضي ويبقى نعما لا تمضي

وقال أحمد بن أبي طاهر

وعارض منسجم قد استهل * ومد أطناب الغمام وأظل
حتى اذا أثرى الثرى من وبله * واخصب الجدب تولى وارتحل
كم انزل الله به من رحمة * ومن حياة بحياه اذ نزل

* وقال مؤلف الكتاب *

أتى هذا المدرار على نظام * وجاء الخير اذ جاد الغمام
فللوسمي في أرض بكاء * وللزرع ابتهاج وابتسام

* باب ذم المطر *

كان يقال المطر مفسد الميعاد ويقال الغيث لا يخلو من العيث وقلت في المبهج قد عاقت الامطار عن الاوطار وحالت الاوحال عن الوصال وقال أبو نواس

هو الغيث الا أنه باتصاله * اذا اليس قول الله فيه بباطل
لئن كان أحيا كل رطب ويابس * لقد حبس الاحباب وسط المنازل

وقال أبو علي البصير

من تكن هذه السماء عليه * نعمة أو يكن بها مسرورا
فلقد أصبحت علينا عذابا * ولقينا منها أذى وشرورا
صيرت منزلي خرابا ومن عا * داتها أن تخرب المعمورا
أيها الغيث كمت بؤسا وفقرا * لي وللناس حنظلة وشعيرا

(وقال) أيضا رحمة صيرت علي عذابا * تركت منزلي خرابا يبابا
لم تدع لي بها ولا لعيالي * سقف بيت يكف عني السحابا

(وقال ابن المعتز)

روينا فما نزداد يا رب من حيا * وأنت على ما في النفوس شهيد
سقوف بيوتي صرن أرضا أدوسها * وحيطان داري ركع وسجود

* باب مدح القمر *

(قال مؤلف الكتاب) القمر من نور الله عز وجل واحد النيرين وهو الذي يجعل الليل نهارا وبه يشبه كل وجه حسن ويتمثل به في كل خير (وفيما يقول الناس) من حكاياتهم أن اعرابيا نام ليلة عن جمله ففقده فلما طلع القمر وجده فرفع الى الله يديه وقال أشهد انك قد أعليته وجعلت السماء بيته ثم نظر الى القمر فقال ان الله

صورك ونورك وعلى البروج دورك واذاشاء قورك ولوشاء كورك فلاأعلم مزيدا أسأله الك فلئن أهديت الى قلبي سرورا لقد أهدى الله الك نورا ثم أنشد يقول

ماذا أقول وفيك القول ذو خطل * كفيتني فيك ذا التفصيل والجملا
ان قلت لازلت عاليا فأنت كذا * أوقلت زانك ربي فهو قد فعلا

﴿باب ذم القمر﴾

أبلغ ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعض الظرفاء الادباء ممن يسكن الدار بكراء وقد قيل له انظر الى القمر ما أحسنه فقال والله ما أنظر اليه لبغضي فيه قيل ولم ذلك قال لان فيه عيوبا لو كانت في جار لرد بالعيب قيل وما هي قال ما يصدقه العيان ويشهد به الاثر فانه يهدم العمر ويقرب الاجل ويحل الدين ويوجب كراء المنزل ويقرض الكتان ويغير الالوان ويسخن الماء ويفسد اللحم ويورث الزكام ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق وقال ابن المعتز فيه

ياسارق الانوار من شمس الضحى * يامثل نورك في الدجاء منغصي
أما ضياء الشمس فيك فناقص * وأرى زيادة حرها لم ينقص
لم يظفرا تشبيه منك بطائل * متسلخ بهقا كوجه الابرص

﴿باب مدح السفر﴾

قد مدح الله تعالى المسافرين فقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وأمر جل اسمه بالسفر فقال فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقال جل وعلا والذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور (وفي الخبر) سافروا تغنموا وتصحوا وفي رواية تصحوا وتغنموا وفي التوراة ابن آدم جدد سفرا أجدد لك رزقا (ولبعضهم)

فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم * وكيف ينام الليل من كان معسرا

وقول العامة كلب جوال خير من أسد رابض (ولبعضهم)

أدور من المعالي منتهاها * ولا أرضى بمنزلة دنيه
فاما نيل غاية ما أرجي * واما ان توسد في المنيه

(ولآخر) ان كنت ترضى بالدنية منزلا * فالارض حيث حللتها لك منزل
فاذا عزمت على المعالي فاخترط * عزما كما عزم الرجال النزل

وقال آخر واذا الديار تنكرت عن حالها * فدع الديار وسارع التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا

واذا بكيت على زمان قد مضى * حتى يعود لتبكين طويلا
(وقال احد الحكماء) السفر احد اسباب المعاش التى بها قوامه ونظامه لان الله تعالى لم يجمع منافع الدنيا فى ارض بل فرقها واحوج بعضها الى بعض ومن فضله ان صاحبه يرى من عجائب الامصار وبدائع الاقطار ومحاسن الآثار ما يزيده علما و يفيده فهما بقدرة الله وحكمته ويدعوه الى شكر نعمته ويسمع العجائب ويكسب التجارب ويفتح المذاهب ويجلب المكاسب ويشد الابدان وينشط الكسلان ويسلى الاحزان ويطرد الاسقام ويشهى الطعام ويحط سورة الكبر ويبعث على طلب الذكر وقال حاتم طى

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم * عماة عن الاخبار خرق المكاسب

(وقال ابن المعتز) أشقى من المسافر الى الامل من قعد فى الناس عن العمل وقال غيره

ليس ارتحالك تزداد الغنى سفرا * بل المقام على بؤس هو السفر

(وفى المبهج) من آثر السفر على القعود فلا يبعد أن يعود مورق العود (وفيه) ربما أسفر السفر عن النظر وتعذر فى الوطن قضاء الوطر

* باب ذم السفر *

فى الحديث المرفوع ان المسافر ومتاعه على قلت الا ما وقى الله * وقيل لبعض الحكماء ان السفر قطعة من العذاب فقال لا بل العذاب قطعة من السفر ونظمه من قال

ان العذاب قطعة من السفر * يا رب فارددنى الى ريق الحضر

وكان الحجاج يقول لولا فرحة الاياب لما عذبت أعدائى الا بالسفر وكان بعض الحكماء يقول السفر والسقم والقتال ثلاثة لثلاث السفر سفينة الاذى والسقم حريق الجسد والقتال ينبت المنايا (وقيل) السفر متعب مكرب والحديث يقصره ويسلى كربه (وكان يقال) طول السفر ملالة وكثرة المنى ضلالة * وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتعوذ من وعثاء السفر ويقال خمسة يعذرون على سوء الخلق المريض والمسافر والصائم والمصاب والشيخ (وفى المبهج) رب سفر كتصحيفه أردت رب سفر كسقر

* باب مدح الغربة *

من أحسن ما قيل فى ذلك قول البرقعى

اذا النار ضاق بها زندها * ففسحتها فى فراق الزناد
اذا صارم قر فى غمده * حوى غيره الفضل يوم الجلاد
وفى الاضطراب وفى الاغتراب * منال المنى وبلوغ المراد

وكان يقال ليس بينك وبين بلد نسب نخير البلاد ما حملك وجلك * وقال بعض

الحكماء اهجر وطنك اذا نبت عنه نفسك وأوحش أهلك اذا كان في ايحاشهم أنسك وقال آخر

فلأن تشرق أو تغرب طالبا * وتكون في الاقبال والادبار
خير واكرم بالفتى من عيشة * ضنك يقوم بها على اقتار

وكان سهل بن مروان يقول لست ممن يقطع نفسه بصلة وطنه * ومن مشهور ماينشد قوله

لا يمنعك خفض العيش في دعة * نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا بأهل وجيرانا بجيران

(وقال آخر) الفقر في أوطاننا غربة * والمال في الغربة أوطان
والارض شئ كله واحد * ويخلف الجيران جيران

وقال غيره اذا نلت في أرض معاشا وثروة * فلا تكثرن فيها النزوع الى الوطن
فما هي الا بلدة مثل بلدة * وخيرهما ما كان عونا على الزمن

ولأبي فراس والمرء ليس ببالغ في أرضه * كالصقر ليس بصائد في وكره

وقال الطريفي أرى وطني كعشي لي وكن * أسافر عنه في طلب المعاش
ولولا أن كسب القوت فرض * لما برح الفرخ من العشاش

(والبستي) انى تنقلت من دار الى دار * وصرت بعد ثواء رهن أسفار
فالحر حر عزيز النفس حيث أتى * والشمس في كل برج ذات أنوار

باب ذم الغربة

(كان يقال) المفلة ذلة والغربة كربة والفرقة حرقة (وقال بعض الحكماء) الغريب كالغرس الذي زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يزهر وذابل لا يثمر ويقال الغريب كالوحش النائي عن وطنه فهو لكل رام رمية ولكل سبع فريسة (وقال آخر) الغريب كاليتيم اللطيم الذي ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا أب يرأف عليه ويقال عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك (ونظمه من قال)

لقرب الدار في الاقتار خير * من العيش الموسع في اغتراب

(وكان يقال) اذا كنت في بلد غيرك فلا تنس نصيبك من الذل ولبعضهم

بالنفس ويحك في التغرب ذلة * فتجرعي كأس الاذى بهوان
واذا نزلت بدار قوم دارهم * فلهم عليك تعزز الاوطان

(وقال آخر) هامن غريب وان أبدى مكابدة * الا تذكر بعد الغربة الوطنا

(وقال النابغة) حلي في ديارك ان قوما * متى يدعوا ديارهم يهونوا

وقال الاعشى ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى * مصارع مظلوم مجرا ومسحبا

وقد فن منه الصالحات وان يسئ * يكن ما أسا كالنار فى رأس كوكبا

(وقال آخر) ومن يناعن دار العشيرة لم يزل * عليه رعود جمة وبروق

(وقال العتابى) فما ابن أبى لا تقترب ان غربتى * سقتنى بكف الضيم ماء الحناظل

(وقال آخر) وان اغتراب المرء من غير خلة * ولا همة يسمو لها لعجيب

وحسب الفتى ذلا وان أدرك الغنى * ونال ثراء أن يقال غريب

(وقال آخر) طلب المعاش مفرق * بين الاحبة والوطن

ومصير جلد الرجا * ل الى الضراعة والوهن

(وقال البستى) لا يعدم المرء كنا يستكن به * ومنعة بين أهليه وأصحابه

ومن نأى عنهم قلت مهابته * كالليث يحقر لما غاب عن غابه

باب مدح الفراق

(قال بعض الحكماء) فى الفراق مصافحة التسليم ورجاء الاوبة والسلامة من السآمة وعمارة القلب بالشوق والانس بالمكاتبة قال أبو تمام

وليست فرحة الاوبات الا * لموقوف على ترح الوداع

وكتب بعض الكتاب جزى الله الفراق خيرا فما هو الا زفرة وعبرة ثم اعتصام وتوكل ثم تأمل وتوقع وقبح الله التلاقى فانما هو مسرة لحظة ومساءة أيام وابتهاج ساعة واكتئاب زمان وقال انى لا أكره الاجتماع ولا أكره الفراق لان مع الفراق غم يخفيه توقع اسعاف بتأميل الاوبة والرجعى ومع الاجتماع محاذرة الفراق وقصر السرور وقال الشاعر

ليس عندى سخط النوى بعظيم * فيه غم وفيه كشف غموم

من يكن يكره الفراق فانى * أشتهيه لـلـذة التسليم

ان فيه اعتناقة لوداع * وانتظار اعتناقة لقدوم

(وقال) بعض الظرفاء من الكتاب ان لاشانى لم أحمد الرحيل الا لما وللبين حرقة لقلت حقا لانى نلت به من العناق وأنس اللقاء ما كان معدوما أيام الاجتماع ومما يليق قول البحترى

فأحسن بنا والدمع بالدمع واكف * ممازجه والخد بالخد ملصق

وقد ضمنا وشك الفراق ولفنا * عناق على أعناقنا ثم ضيق

فلم تر الا مخبرا عن صبابة * بشكوى ولا عبرة تترقرق

ومن بعد قبل التشكى وبعده * فيكاد بها من شدة اللثم تشرق

ولو فهم الناس الفراق وحسنه * لحبب من أجل التلاقى التفرق

(وقال غيره) آه من حر دمعة المشتاق * ما ألذ البكاء عند الفراق

لذة الدمع عند بين حبيب * كعناق الحبيب وقت التلاقي

* باب ذم الفراق *

(كان يقال) ماخلق الفراق الا لتعذيب العشاق ويقال فراق الاحباب سقام الالباب * وقال آخر حق الفراق أن تطير له القلوب وتطيش معه العقول وتطيح عليه النفوس * ويقال فراق الحبيب يشيب الوليد ويذيب الحديد * ويقال هوا السياق أهون من الفراق وقال النظام لو كانت للفراق صورة لراعت القلوب وهدت الجبال ولجمر الغضى أهون توهجا من ناره ولو عذب الله أهل النار بالفراق لاستراحوا الى ما قبله من العذاب وقال الشاعر

لو أن مالك عالم بجوى الهوى * وفعاله بأضالع العشاق
ماعذب الكفار الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

(وقال آخر) لو دار مرتاد المنية لم يجد * غير الفراق الى النفوس دليلا
انى نظرت الى الفراق فلم أجد * للموت لو فقد الفراق سبيلا

فأخذه أبو الطيب المتنبي فقال

لولا مفارقة الاحباب ماوجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا

ولابي العباس أحمد بن ابراهيم بن أحمد الضبي

لاتركنن الى الفرا * ق فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها * تصفر من ألم الفراق

(وقال بعض البلغاء) لاغرو أن يفرق الفراق بين الروح والبدن ويترك المبتلى به والاشتياق فى قرن

* باب مدح البكاء *

(كان) يوسف عليه السلام اذا برح به الحزن على أبيه دخل وصب عبرته ثم خرج * فصل * لابى بكر الخوارزمى ان الفجيعة اذا لم تحارب بجيش من البكاء ولم يخفف من أثقالها بشئ من الاشتكاء تضاعف داؤها وزاد عياؤها وعزدوا ؤها * فصل * لابى اسحق الصابى ان فى اسبال العبرة واطلاق الزفرة والاجهاش والنشيج واعلان الصياح والضجيج تنفيسا من برحاء القلوب وتخفيفا من أثقال الكروب (وقال امرؤ القيس)

وان شفائى عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معول

(وقال آخر) وبكيت لما هجرها من وصلها * وجرت مدامع أعينى كالعندم
أبكى وأمسح مدمعى فى جيدها * من عادة الكافور امساك الدم

وقال آخر وما في الارض أشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا أبدا حزينا * مخوف تفرق أو لاشتياق
فيبكي ان نأوا شوقا اليهم * ويبكي ان دنوا خوف الفراق
وقال غيره لولا مدامع عشاق ولوعتهم * لبان في الناس عز الماء والنار
فكل نار فمن أنفاسهم قدحت * وكل ماء فمن دمع لهم جاري
(وقال ذو الرمة)
لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفي نجي البلابل
(وقال ابن الرومي في ذكر العلة في تخفيف الهم بالبكاء)
الدمع في العين لا نوم ولا نظر * ولا محالة من معنى له خلقا
ولم أجد ذلك المعنى وحققه كما * الا البكاء اذا ما طارق طرقا
وقال أيضا رحمه الله تعالى
ابلك فرب أنفع ما في البكا * ان البكا للحزن تحليل
وهو اذا أنت تأملته * حزن على الخدين محلول
(فصل) لابي الحسن بن أبي القسم القاشاني قد شفيت غليلي بما استدررته من أسراب الدموع المتحيره وخففت عن بعض البرحاء بما امتريته من أخلافها المتحدرة

(باب ذم البكاء)

(قال بعض الحكماء) لبعض الملوك وقد رآه في مصيبة يبكي ليس يليق بالسلطان ما هو عادة الصبيان والنسوان * وكان محمد بن عبد الملك الزيات يقول ان البكاء من خور الطبيعة وضعف الغريزة وترك البكاء في الخطوب النزل من أخلاق القوم البزل ولذلك قال الشاعر
يبكي علينا ولا نبكي على أحد * لنحن أغلظ أكبادا من الابل
(وقال أبو تمام) في التجلد وترك البكاء عند المصيبة وقد أحسن
خلقنا رجالا للتجلد والاسى * وتلك الغواني للبكا والمآتم
(وللبحتري) ولعمري ما العجز عندي الا * أن تبيت الرجال تبكي النساء
(وقال ابن الرومي في الرزايا وترك البكاء)
ترحل من هويت وكل شمس * ستكسف أو ستغرب حين تمسي
وما لك عن ذكرى حبيب * كعهدك أمس يوما بعد أمس
أبت نفسي البكاء لرزء شيء * كفى شجو النفسي رزء نفسي
أالجزع وحشة لفراق الف * وقد وطأتها الحلول رمسي
رأيت الدهر يجرح ثم يأسو * فيوسي أو يعوض أو ينسي *

﴿باب مدح الرؤيا﴾

(قال عكرمة) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في قوله تعالى و كذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث يعني تأويل الرؤيا ﴿ وفي الخبر المرفوع ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ثم قرأ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة وفي الحديث ان الرؤيا جزء واحد من ستة وأربعين جزأ من النبوة ويقال الرؤيا الصالحة قرة العين وقوة للظهر والهند تقول من رأى رؤيا صالحة فكان كمن لم ينم ومن لم ينم فقد زيد في عمره لان النوم أخو الموت ﴿ وقال بعض العلماء الرؤيا الصالحة بشارة وفي العمر زيادة ﴿ وقال آخر الرؤيا الصالحة هي البشرى بالنعمى (وقال بعض الظرفاء) مرحبا بالرؤيا فانها تجمع بين الحبيبين وان كان بينهما بعد المشرقين

﴿باب ذم الرؤيا﴾

أحسن ما قيل في ذلك قول بعض المجربين لعن الله الرؤيا خيرها كذب وشرها ما سر وأصدقها ما يوجب الغسل وقال ابن بسام

أرى في منامي كل شيء يسوءني ﴿ ورؤياي بعد النوم أدهى وأفجع
فان كان خيرا كان أضغاث حالم ﴿ وان كان شرا جاء في قبل أصبح

وفي معناه قول الشاعر

وأحلم في المنام بكل خير ﴿ فأصبح لا أراه ولا يراني
وان أبصرت شرا في منامي ﴿ أتاني الشر من قبل الأذان

(وقال داود المصاب) رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل رأيت كأني أعطيت بدرة فمن ثقلها أحدثت في سراويلي فانتبهت فرأيت الحدث ولم أر البدرة ﴿ أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان للأحنف العكبري

قيل رؤيا المنام عندك حق ﴿ قلت هيهات كل ذاك مجاز
ليس يقظ نهم يصح له الامر فكيف المغمض الخزاز

(وحكى) ابن سيرين أن رجلا رأى في المنام كأن له غلاما يطلب منه عشرة بعشرة وليس بيده الا تسعة وحج عنه لم يرشها أو بعضها مديدة وقال هات خمسة خمسة

﴿باب مدح الهدية﴾

(في الخبر المرفوع) تهادوا تحابوا وفيه تصافحوا فان المصافحة يذهب غل الصدور وتهادوا فان الهدية تسل السخيمة قال الشاعر

ان الهدية حلوة ﴿ كالسحر تجتلب القلوبا

تدنى البعيد من الهوى * حتى تصيره قريبا
وتعيد معتضد العدا * وذا بعد نفرته حبيبا

(وقال ابن عائشة) الهدية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدب الملوك وعمارة المودة بين الاخوان * وكان يقال أهدوا الولاة فانهم ان لم يقبلوا أحبوا وكان الفضل ابن سهل ذوالرياستين يقول ما أرضى الغضبان واستعطف السلطان ولا سلت السخائم ولا رفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية * ومن أحسن ماقيل في الاهداء الى الملوك قول أحمد بن يوسف المأموني

على العبد حق فهو لابد فاعله * وان عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدى الى الله ماله * وان كان عنه ذا غنى فهو قابله

(وكتب) بعض الكتاب الى صديق له وجدت المودة منقطعة ما دامت الحشمة عليها مسلطة وليس يزيل سلطان الحشمة الا المؤانسة ولا تقع المؤانسة الا بالمهاداة والملاطفة (وكتب) أبو العيناء الى بعض الوزراء قد بعثت الى الوزير بباكورة عنب فان كنت سبقت المهدين لها فلي فضل السبق وان كنت مسبوقا فلي فضل النية ويقال من قدم هديته نال أمنيته ومن قدم المؤنة ظفر بالمعونة وقال بعض السلف نعم الشيء الهدية أمام الحاجة (وقال آخر) الهدية تفتح الباب المغلق وقال آخر الهدايا تذهب الشحناء والهدية رزق الله فمن أهدى اليه فليقبله (وقال بعض العلماء) لعظم خطر الهدية وجلالة قدرها على وجه الدهر قالت ملكة سبأ وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون وقال الشاعر

للهدايا في القلوب مكان * وحقيق بحبها الانسان

(وقال الشاعر) اذا دخل الهدية دار قوم * تطايرت العداوة من كواها

* باب ذم الهدية *

أهدى الى عمر بن عبد العزيز هدية فردها فقيل له ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها فقال كانت له الهدية هدية وهي لنا رشوة وقد لعن الله الراشي والمرتشي والرائش * وقال بعض السلف الهدية للعامل غلول وفي عمل السلطان رشوة (وأهدى) الى دهقان هدية فكرهها وأظهر الجزع فعاتبه بعض من صاحبه فقال لئن كان ابتدأني بها انه ليدعوني الى أن أتقلده منة ولئن كافأني على معروف لي عنده انه ليسألني أخذ ثمن ذلك فمن اي هذين لا أجزع

* باب مدح الدين *

كانت عائشة رضي الله عنها تستدين من غير حاجة فقيل لها في ذلك فقالت سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان عليه دين وفي نيته قضاؤه فان الله معه حتى يقضيه وأنا أحب ان يكون الله معي * وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما المستدين تاجر الله في أرضه وفي الحديث مكتوب على باب الجنة القرض بثمان عشرة والصدقة بعشر امثالها قيل ولم ذلك يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام ان الصدقة ربما وقعت في يد غني عنها وصاحب القرض لا يستدين الا من حاجة وضرورة (دخل) عتبة بن عمر على خالد القسري فقال خالد يعرض به ان ههنا رجالا اذا فنيت أموالهم استدانوا فقال عتبة ان رجالا تكون اموالهم اكثر من مروآتهم فلا يدانون ورجالا تكون مروآتهم اكثر من أموالهم فيدانون على سعة الله فخجل خالد وقال انك منهم وما علمت * ويقال كثرة الدين من علامات المفلسين وقال بعض السلف لأن أقرض مالي مرتين أحب الي من أن أتصدق به مرة واحدة وفي الخبر من أراد أن يأخذ دينارا وهو ينوي قضاءه بارك الله فيه وأعانه على قضائه

باب ذم الدين

(في الخبر) لا وجع الا وجع العين ولا غم كغم الدين وقال عليه الصلاة والسلام الدين شين الدين وكان يقال صاحب الدين ذليل بالنهار مهموم بالليل وقال بعض السلف الدين غل الله في أرضه فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعل منه طوقا في عنقه (وقال العتبي) الدين عقلة الشريف * وسأل عمرو بن عبيد عن صديق له فقيل قد توارى من دين ركبه فقال داواه طالما وفد الى الكرام وقال عبد الملك بن صالح ما استرق الاحرار بمثل الدين * ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول الخباز البلدي

اذا استثقلت أو أبغضت خلقا * وسرك بعده حتى التنادي
فشرده بقرض دريهمات * فان القرض مقراض الوداد

(وقال ابن المعتز) كثرة الدين تصير الصادق كاذبا والمنجز مخلفا

باب مدح الشباب

(في الحديث المرفوع) أوصيكم بالشبان خيرا فانهم أرق أفئدة ان الله بعثني بشيرا ونذيرا فحالفني الشبان وخالفني الشيوخ ثم قرأ فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم (وكان) عطاء الخراساني يقول الحوائج الى الشبان أسهل منها الى الشيوخ ألم تر أن يوسف عليه السلام قال لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقال ابوهم سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم * وقال الصولي في كتاب فضل الشباب على الشيب الذي ألفه لمقتدر الشيب لا يقدم ولا يؤخر وقد رأيت ما رأيت مائل ربما عدل بالأمور ومهمات الحوائج عن المشايخ الى الشبان لاعتدال أيامهم وسرعة

حركاتهم وحدة أذهانهم وتيقظ طباعهم لانهم على ابتناء المجد أحرص واليه أصبى واحوج وقد أخبر الله تعالى عن اعطاء يحيى بن زكريا عليهما السلام الحكمة فى سن الصبابة وله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وذكر الفتية فى كتابه العزيز فى غير ما موضع فقال اذ أوى الفتية الى الكهف وقال انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم وقال فلما جاوزا قال موسى لفتاه آتنا غداءنا (وقال بعض البلغاء) الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال مابعث الله نبيا من الانبياء الاشابا ولا أوتى العلم عالم الاوهو شاب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم (وقال الجاحظ) فى قول أبى العتاهية

ان الشباب حجة التصابى * روائح الجنة فى الشباب

معنى كمعنى الطرب الذى تشهد بصحته القلوب وتعجز عن صفته الالسن * ومن أحسن ماقيل فى مدح الشباب والتأسف عليه قول محمد بن حازم الباهلى

لاحين صبر تخلى الدمع تهمل * فقد الشباب بيوم الموت متصل
لا تكذبن فما الدنيا باجمعها * من الشباب بيوم واحد بدل

ولما انشد منصور النميرى الرشيد قوله

ماتنقضى حسرة منى ولا جزع * اذاذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتنى مسرته * صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت اوفى شبابى كنه عزته * حتى مضى فاذا الدنيا له تبع

بكى الرشيد حتى اخضلت لحيته ثم قال يانميرى لاخير فى دنيا لايخطر فيها برد الشباب

(ومن احاسن هذا الباب قول ابن الرومى)

لاتلح من يبكى شبيبته * الا اذا لم يبكها بدم
لسنا نراها حق رؤيتها * الا أوان الشيب والهرم
ولرب شئ لايبينه * وجدانه الا مع العدم
كالشمس لاتبدو فضيلتها * حتى تغشى الارض بالظلم

وله أيضا فى نسيب قصيدة

ايا برد الشباب لكنت عندى * من الحسنات والقسم الرغاب
لبستك برهة لبس ابتذال * على علمى بفضلك فى الثياب
ولو ملكت صونك فاعلمنه * لصنتك فى الحرير من العياب
ولم ألبسك الايوم فخر * ويوم زيارة الملك اللباب

وقال الشيخ لو قال لصنتك فى الفؤاد من العياب لكان اولى

﴿ باب ذم الشباب ﴾

يقال الشباب مطية الجهل ومظنة الذنوب وشعبة من الجنون (وقال النابغة)

وان يك عامر قد قال جهلا ❊ فان مطية الجهل الشباب

(وقال العتبي)

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ❊ ان الشباب جنون برؤه الكبر

ويقال سكر الشباب اشد من سكر الشراب (وقال ابن المعتز) جاهل الشباب معذور وعالمه محقور (وكان) يقول نعوذ بالله من ترهات الشباب ونزغات الشيطان وقال ابو الطيب محمد بن حاتم المصعبي وأجاد

لم أقل للشباب في كنف الله ولا ستره غداة استقلا

زائر لم يزل مقيما الى أن ❊ سوّد الصحف بالذنوب وولى

﴿ باب مدح الشيب ﴾

في الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري والنار خلقي وانا أستحي أن أحرق نوري بناري (وكان) يقال الشيب حلية العقل وسمة الوقار وقال دعبل الخزاعي

أهلا وسهلا بالمشيب فانه ❊ سمة العفيف وهيئة المتحرج

وكأن شيبي نظم درّ زاهر ❊ في تاج ذي ملك أغر متوج

وقال طريح بن اسمعيل الثقفي

والشيب ان يحلل فان وراءه ❊ عمرا يكون خلاله متنفس

لم ينتقص مني المشيب قلامة ❊ ولهن حين بدا ألذوا كيس

وكان يقال الشيب زبدة مخضتها الايام وفضة سبكتها التجارب وكان بعض الحكماء يقول اذا شاب العاقل سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب ❊ ووصف بعض البلغاء رجلا شاب وارعوى عن مجاهل الشباب فقال ذاك قد عصى شياطين الشباب وأطاع ملائكة الشيب (وقال) علي رضي الله عنه مشهد الشيخ خير من مشهد الغلام وقال ابن المعتز عظم الكبير فانه عرف الله قبلك وارحم الصغير فانه أغر بالدنيا منك وكان يقال الشيخ يقول عن عيان والشاب عن سماع وقال أبو تمام

فلا يروعنك ايماض المشيب به ❊ فان ذاك ابتسام الرأي والادب

(وقال ابو السمط)

ان المشيب رداء العقل والادب ❊ كما الشباب رداء اللهو والطرب

(وقال دعبل)

أحب الشيب لما قيل ضيف ❊ كحبي للضيوف النازلينا

وقال

(وقال البحتري)

وبياض البازي أصدق حسنا * ان تأملت من سواد الغراب

(وله) عذلتنا في عشقها أم عمرو * هل سمعتم بالعاذل المعشوق

ورأت لمة ألم بها الشيب فريعت من ظلمة في شروق

ولعمري لولا الاقاحي لابصر * ت أنيق الرياض غير أنيق

وسواد العيون لو لم يعلل * ببياض ما كان بالموموق

أي ليل يبهى بغير نجوم * وسحاب يندى بغير بروق

وقال ابن الرومي

ذد يشيب الفتى وليس عجيبا * أن ترى النار في القضيب الرطيب

(وللبديع الهمداني) فصل في مدح الشيب وذم الشباب جزى الله المشيب خيرا فانه أتاه ولا رد الشباب فانه هناه وبئس الداء الصبا وليس دواؤه الا انقضاءه وبئس المثل النار ولا العار ونعم الراكضان الليل والنهار وأظن الشباب والشيب لو مثلا لكان الاول كلبا عقورا والآخر شيخا وقورا ولاشتعل الاول نارا واشتهر الآخر نورا فالحمد لله الذي بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد ان السعيد من شابت جلدته ولم تخص بالبياض لحيته وقال أيضا في الشيب

يامن يعلل نفسه بالباطل * نزل المشيب فمرحبا بالنازل

ان كان ساءك طالعات بياضه * فلقد كساك بذاك ثوب الفاضل

لاتبكين على الشباب وفقده * لكن على الفعل القبيح الحاصل

يا غافلا عن ساعة مقرونة * بنوادب وصوارخ ونواكل

قدم لنفسك قبل موتك صالحا * فالموت أسرع من نزول الهاطل

حتام سمعك لايعي لمذكر * وصميم قلبك لايلين لعاذل

تبغي من الدنيا الكثير وانما * يكفيك من دنياك زاد الراحل

آي الكتاب تهز سمعك دائما * وتصم عنها معرضا كالغافل

كم للاله عليك من نعم ترى * ومواهب وفوائد وفواضل

كم قد أنالك من مواهب طوله * فاسأله عفوا فهو غوث السائل

باب ذم الشيب

قال عبيد بن الابرص الشيب شين لمن يشيب وقال قيس بن عاصم الشيب خطام المنية وقال أكثم بن صيفي الشيب عنوان الموت * وقال الحجاج الشيب بريد الموت وقال مالك بن أنس الشيب توأم الموت وقال العتبي الشيب مجمع الأمراض وقال

العتابي الشيب نذير المنية وقال غيره الشيب شر العمائم وقال محمود الوراق الشيب غمام قطره الغموم وقال ابن المعتز الشيب أول مواعيد الفناء وقال الناشئ الشيب ناعي الشباب ورسول البلاء وقال غيره الموت ساحل الحياة والشيب سفينة تقرب من الساحل وقال ابن عائشة الشيب قناع الموت وقال يونس النحوي الشيب مجمع كل عيب وقال ابن شكاة الشيب أحد الموتتين ومن أحسن ما قيل في ذم الشيب قول أبي تمام

غدا الشيب مختطا بفودي خطة ❊ طريق الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى ❊ وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع ❊ ولكنه في القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا ❊ وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

(وللشافعي رضي الله تعالى عنه)

ولذة عيش المرء قبل مشيبه ❊ وقد فنيت نفس تولى شبابها
اذا اسود جلد المرء وابيض شعره ❊ تكدر من أيامه مستطابها

غيره

سألت من الاطباء ذات يوم ❊ طبيبا عن مشيبي قال بلغم
فقلت له على غير احتشام ❊ لقد أخطأت فيما قلت بل غم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

تمسكت لما رأت ❊ شيبا تلالا غرره ❊ قلت لها لا تعجبي
أنيك عندي خبره ❊ هذا غمام للردى ❊ ودمع عيني مطره

(وقال آخر)

من شاب قد مات وهو حي ❊ يمشي على الارض مشي هالك
لو كان عمر الفتى حسابا ❊ لكان في شيبه كذلك

❊باب مدح الخضاب❊

كان يقال الخضاب أحد الشبابين ويقال الخضاب تذكرة الشباب ❊ ومن أحسن ما قيل في مدحه

الشيب موق ولكن في أمانته ❊ مجد الرجال قليلات وأيام

وقال ابن المعتز

وقالوا النصول مشيب جديد ❊ فقلت الخضاب شباب جديد
أساءة هذا بإحسان ذا ❊ فان عاد ذاك فهذا يعود

(وقال آخر)

للضيف أن يقرى ويعرف حقه ❊ فالشيب ضيفك فاقره بخضاب

وأظرف ما قيل في الخضاب قول عبدان الاصفهاني

في مشيبي شماتة لعداتي ❊ وهو ناع منغص لحياتي
ويعيب الخضاب قوم وفيه ❊ لي أنس الى حضور وفاتي
لا ومن يعلم السرائر مني ❊ ما به رمت خلة الغانيات

اشارت أن يغيب عني * ماتر بنيه كل يوم مراتي
وهو ناع الى نفسي ومن ذا * سره أن يرى وجوه النعاة

(باب ذم الخضاب)

قال الاسكندر لرجل خضب الشيب هب انك تخفي الشيب فكيف تخفي سائر آثار الكبر (وقال ابن المعتز) الخضاب من شهود الزور وقال ابن الرومي الخضاب حداد الشباب وقال آخر الخضاب كفن الشيب ولبعضهم

ياخاضب اللحية ماتستحي * تشارك الرجن في صبغته
أقبح شئ شاع بين الورى * ان الفتى يكذب في لحيته

غيره قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك ياسمعي ويابصري
فقهقهت ثم قالت ان ذا عجب * تكاثر الغش حتى صار في الشعر

(وقال محمود الوراق)

ياخاضب الشيب الذي * في كل ثالثة يعود * ان النصول اذا بدا
فكأنه شيب جديد * بدويهة روعية * مكروهها أبدا عتيد
فدع المشيب كما أرا * د فلن يعود كما تريد

(وقال آخر)

خضبت شيبي ليخفى * وكان ذاك لعله
فقيل شيخ خضيب * قد زاد في الطين بله

وقال آخر ياخاضب الشيب بالحنا ليستره * سل الاله له سترا من النار

(وقال أبو الطيب المتنبي)

ومن هوى كل ما كانت مموهة * تركت لون مشيبي غير مخضوب
ومن هوى الصدق في قولي وعادته * رغبت عن شعر في الوجه مكذوب

(وقال غيره)

تولى الجهل وانقطع العتاب * ولاح الشيب وافتضح الخضاب
لقد أبغضت نفسي في مشيبي * فكيف تحبني الخود الكعاب

(باب مدح المرض)

(حدث) الصولي عن أبي ذكوان قال سمعت ابراهيم بن العباس يصف لي الفضل ابن سهل وتقدمه ويصف علمه وكرمه فكان مما حدثني به انه قال برأ الفضل من علة عرضت له فجلس للناس وهنؤه بالعافية فلما فرغوا من كلامهم قال لهم ان في الامراض لنعما لاينبغي للعقلاء أن يجحدوها منها تمحيص الذنوب وتعرض للثواب والصبر وايقاظ من الغفلة واذكار للنعمة الموجودة في الصحة ورضا بما قدر الله وقضى واستدعاء للتوبة

وحض على الصدقة فحفظ الناس كلامه ونسوا ما قال غيره (وكان) يقال مرارة السقم توجد حلاوة العافية وفى الخبر ان المريض يخرج من مرضه نقيا من الذنوب كيوم ولدته أمه وفى الخبر أيضا ان المريض لتتساقط خطاياه كما يتساقط الورق من الشجر فى الخريف (وكان) طاوس يقول دعاء المريض مستجاب أما سمعت قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه والمريض مضطر جدا وفى خبر آخر حمى ليلة كفارة سنة (وقال بعض العلماء) رب مرض يكون تمحيصا لا تنغيصا وقد كدرا لا تعكيرا وأدبا لا غضبا (وقال ابن المعتز) قلت لبعض فقهائنا وأنا عليل وقد سألني عائد حضرته عن حالي فقال لي كيف أنت فقلت أترانى ان قلت فى عافية كنت كاذبا فقال لا انه قال بعض الصالحين اذا أعلك الله فى جسدك فقد أصحك من ذنوبك

﴿ باب ذم المرض ﴾

كان يقال الصحة تشبه الشباب والمرض يشبه الهرم وقيل لا رفيق أرفق من الصحة ولا عدو أعدى من المرض (وقال آخر) شيئان لا يعرفان الا بعد ذهابهما الصحة والشباب (وقال بزرجمهر) ان كان شئ فوق الموت فهو المرض وان كان شئ مثله فهو الفقر وان كان شئ فوق الحياة فهو الصحة والشباب وان كان شئ مثلها فهو الغنى (وقال ابن المعتز) المرض حبس البدن كما أن الهم حبس الروح (وقال بشار)

انى وان كان جمع المال يعجبنى * لا يعدل المال عندى صحة الجسد
المال زين وفى الاولاد مكرمة * والسقم ينسيك ذكر المال والولد

(وللمتنبي) واذا الشيخ قال أف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولى

﴿ باب مدح الموت ﴾

فى الحديث المرفوع الموت راحة (وقال) بعض السلف ما من مؤمن الا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول وما عند الله خير وأبقى وان كان مسيئا فانه تعالى يقول ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما (وقال) ميمون بن مهران بت ليلة عند عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسألته الله الموت فقلت يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفى بقائك راحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح يوسف بن يعقوب عليهما السلام حين أقر الله عينيه وجمع له أمره قال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين (وقالت) الفلاسفة لا يستكمل الانسان

حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسان أنه حي ناطق ميت (وقال بعض السلف) الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استريح منه وقال آخر رب موت كالحياة قال الشاعر وما الموت الا راحة غير أنها * من المنزل الفاني الى المنزل الباقي

(وقال آخر)

جزى الله عنا الموت خيرا فانه * أبر بنا من كل بر وأرأف
يعجل تخليص النفوس من الاذى * ويدني من الدار التي هي أشرف

(وقال منصور الفقيه)

قد قلت اذ مدحوا الحياة فأسرفوا * في الموت ألف فضيلة لو تعرف
منها أمان لقائه بلقائه * وفراق كل معاشر لا ينصف

(وقال أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب)

من كان يرجو أن يعيش فانني * أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا
في الموت ألف فضيلة لو أنها * عرفت لكان سبيله أن يعشقا

(وقال ابن لنكك البصري)

نحن والله في زمان غشوم * لو رأيناه في المنام فزعنا
أصبح الناس فيه من سوء حال * حق من مات منهم أن يهنا

(شعر) ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا * والناس حولك يضحكون سرورا
فاحرص على عمل تكون اذا بكوا * في يوم موتك ضاحكا مسرورا

* باب ذم الموت *

(قال) صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه ما ذكر في قليل الا كثره ولا في كثير الا قلله أي ما ذكر في كثير من العمل الا كثره لان تفكر ساعة خير من عمل ستين سنة ولا في كثير من الامل الا قلله أي باعتبار ما ينشأ عنه من تفتير الهمم والعزائم ولكن حجاب الغفلة وطول الامل شغل معظم الخلق قال

ونحن في غفلة عما يراد بنا * ننسى لشقوتنا من ليس ينسانا

ولبعضهم وما هذه الايام الا صحائف * يؤرخ فيها ثم تمحى وتمحق
ولم أر في دهري كدائرة المنى * توسعها الآمال والعمر ضيق

وفي بعض الآثار عن النبي المختار الامل رحمة من الله لامتي (وقال الشاعر)

ياموت ما أجفاك من نازل * تنزل بالمرء على رغمه
تستلب العذراء من خدرها * وتأخذ الواحد من أمه

(وقال آخر) وكل ذي غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب

(وقال بعضهم) الناس في الدنيا أغراض تنتضل فيها سهام المنايا (وقال ابن المعتز)

الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك (وقال بعض السلف) الموت أشد ماقبله وأهون مابعده (ونظر) الحسن الى ميت يدفن فقال ان شيأ هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره وان شيأ هذا آخره لحقيق أن يزهد أوله (وسئل) بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفازة من ركبها اضل خبره قال الشيخ يعني أخفى خبره وعفا أثره (وقال المتنبي)

اذا ماتأملت الزمان وصرفه * تيقنت أن الموت ضرب من القتل
وما الموت الا سارق دق شخصه * يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

(وقال أيضا) نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف مالابد من شربه
يموت راعي الضأن في جهله * موتة جالينوس في طبه

(وقال) ابن المعتز كأن من غاب لم يشهد ومن مات لم يولد (وقال أيضا) الميت يقل الحسد له ويكثر الكذب عليه

باب مدح السواد

أحسن ماقيل فيه قول أبي يوسف القاضي وقد جرى بين يدي الرشيد ذكر السواد من بين الالوان ياأمير المؤمنين من فضائل السواد أنه لم يكتب كتاب الا به حتى كتاب الله تعالى (وكان) يقول النور في السواد يعني سواد الناظر وقد أكثر الشعراء في مدح السواد ووصفه * فمن أحاسنه قول أبي حفص في جارية له

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة ما كنت أو قاعده
لاشك اذ عرفكما واحد * أنكما من طينة واحده

(وقال ابن العبسي)

ان سعدي والله يكلأ سعدي * ملكت بالسواد رق سوادي
أشبهت ناظري وحبة قلبي * فهي في العز ناظري وفؤادي
لن يرى الناظرون شيأ وان أشرق حسنا الا بنور السواد

(وقال بعض الكتاب في غلام أسود)

قالوا عشقت من البرية أسودا * مهلا علقت بأضعف الاسباب
فأجبتهم مافي البياض فضيلة * وأرى السواد نهاية الطلاب
أهوى السواد لان شيبي أبيض * يردي الفتى وأحب لون شبابي
وكذاك في الكافور برد قاطع * والمسك أصبح سيد الاطياب
وبه تزين كف كل خريدة * وبه تتم صناعة الكتاب
والله ألبس أهل بيت محمد * لون السواد فكف عنك عتابي

(وقال ابن الرومي وزاد عليه)

غصن من الآبنوس ركب فى * مؤتزره بجب ومنتطق *
سوداء لم تنتسب الى برص الشقر ولا لمعة من البهق
اكسبها الحب أنها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق
فانصرفت نحوها الضمائر وال * أبصار يعتقن أيما عنق
وبعض مافضل السواد به * والحبر ذو سلم وذو يقق
أن لا تعيب السواد حلكته * وقد يعاب البياض بالبهق

وقال بعض الظرفاء

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مشغوف بمن قد * يراه كله فى العين خالا

(وقال الصابى فى غلام أسود)

لك وجه كأنما خضبته سو * داء قلب عن التصبر خالى
فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالى
لم يشنك السواد بل زدت حسنا * انما يلبس السواد الموالى

لطيفة قيل ان هرون الرشيد جلس ذات يوم وبين يديه جاريتان احداهما سوداء والاخرى بيضاء فتعاتبت الجاريتان وتنادمتا ثم ان كل واحدة منهما أنشدت شعرا تمدح نفسها وتذم صاحبتها ثم ان السوداء أنشدت تقول

ألم تر أن المسك لاشئ مثله * وان بياض اللفت حمل بدرهم
وان سواد العين لاشك نورها * وأن بياض العين لاشئ فافهم

فاجابتها البيضاء وقالت

ألم ترأن الدر لاشئ فوقه * وأن سواد الفحم حمل بدرهم
وان رجال الله بيض وجوههم * وان الوجوه السود أهل جهنم

فاستحسن الرشيد قولهما وخلع عليهما (وقال ابن المعتز) يا مسكة العطار وخال وجه النهار

باب ذم السواد

أحسن ما قيل فى ذم السواد قول الاوزاعى السواد لا يلبى فيه محرم ولا يكفن فيه ميت مسلم ولا تجلى فيه عروس (وقال) الماهانى لصديق له لم أولعت بالسودان فقال لانهن اسخن فقال الماهانى للعين (وقال) أحمد بن أبى الطيب السرخسى من معايب السودان أنه لا يظهر فيهم أثر الحياء والخجل ولم يتخذ الله منهم نبيا (وقال أبو حنش)

رأيت أبا الجناء فى الناس جائرا * ولون أبى الجناء لون البهائم
تراه على ما لاحه من سواده * وان كان مظلوما له وجه ظالم

(وقال) الحماني في هجاء أسود

ويبرز للرائين وجهاً كأنما * كساه إهاباً من قشور الخنافس

وقد أحسن كشاجم في هجاء رجل أسود جائر

يا مشبهاً في فعله لونه * لم تعد ما أوجبت القسمه

فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

* باب مدح الغوغاء والسفهاء *

في الحديث إن الله يسر هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم (وكان) الأحنف بن قيس يقول أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم النار والعار (وذكر محمد بن جعفر) رضي الله تعالى عنهما الغوغاء فقال إنهم ليطفئون الحريق ويستنقذون الغريق ويسدون البثوق (وكان) الشافعي رحمة الله تعالى عليه يقول لابد للفقيه من سفيه يناضل عنه ويحامي عليه (وكان) سعد بن سالم يقول ينبغي للرئيس أن يأخذ في ارتباط السفهاء من الغوغاء وفيه يقول الشاعر

وأني لأستبقي امرأ السوء عدة * لعدوة عريض من القوم جانب

أخاف كلاب الأبعدين وهرشها * إذا لم تجاوبها كلاب الأقارب

* باب ذم الغوغاء والسفهاء *

ذكرهم واصل بن عطاء فقال ما اجتمعوا إلا ضروا وما تفرقوا إلا نفعوا فقيل له قد عرفنا مضرة الاجتماع فما منفعة الافتراق فقال يرجع الحائك إلى حياكته والطيان إلى مطينته والفلاح إلى فلاحته وكل ذلك من مرافق المسلمين ومعاون المحتاجين (وقال) الجاحظ الفاغة والباغة والأغبياء والسفهاء كأنهم أغرار عام واحد وهم في بواطنهم أشد تشابهاً من التوأمين في ظواهرهما وكذلك هم في مقادير العقول وفي الاعتزام والتسرع وفي الأسنان والبلدان (وقد) ذكر الله تعالى ذكره رد قريش ومشركي العرب على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ألفاظهم ومعانيهم ومقادير هممهم التي كانت في زمان ما كان من جميع الأمم مع أنبيائهم فقال عز وجل تشابهت قلوبهم الآية وقال فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ومثل هذا كثير ألا ترى أنك لا تجد أبداً في كل بلدة وعصر الحاكة إلا على مقدار واحد وجهة واحدة من السخف والخمول والغباوة والظلم وكذلك النخاسون على طبقاتهم من أصناف ما يبيعون ويبتاعون وكذلك السماكون والقلاشون على مثال واحد وجهة واحدة وكل حجام فهو شديد الحرص على شرب النبيذ وقد اختلفوا في البلدان والأجناس والأنساب (وكان المأمون

يقول كل شر وضر في الدنيا انما هو صادر عن السفهاء والطاغية فانهم قتلة الانبياء والاولياء والاصفياء وهم المضربون بين العلماء والنمامون بين الاوداء والساعون الى السلاطين ومنهم اللصوص والسراق والقطاع والطرارون والجلادون ومثيرو الفتن والمغيرون على الاموال فاذا كان يوم القيامة جروا على عادتهم في السعاية يقولون ما حكى الله عنهم ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا

﴿باب مدح العمى﴾

(قال) الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (وقيل) لقتادة ما بال العميان اذكى واذكى من البصراء قال لان ابصارهم تحولت الى قلوبهم • وقال الجاحظ العميان اذكى واحفظ واذهانهم اقوى واصفى لانهم غير مشتغلي الافكار بتمييز الاشخاص ومع النظر تشعب الفكر ومع انطباق العين اجتماع اللب (ولذلك) قال عبدالله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما

ان يأخذ الله من عيني نورهما ﴿ ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ﴿ وفي فمي صارم كالسيف مشهور

(وقال) يعير في الاعداء والعار فيهم ﴿ وليس بعار ان يقال ضرير
اذا ابصر المرء والمروءة والتقى ﴿ وان عمي العينان فهو بصير

(وتذعير) بعضهم اعمى وكان لسنا فصيحا فقال يهجوه ويعرض بدائه

ليس العمى داء ولكنه ﴿ شطفة تشريف على ضره
ما الهم والداء وكل البلا ﴿ الا ابتلاء المرء في دبره
فالحمد لله الذي صاننا ﴿ مما يحار الطب في امره

(وقال الشاطبي رحمه الله)

ان اذهب الله من عيني نورهما ﴿ فان قلبي مضيء ما به ضرر
ارى بقلبي دنياي وآخرتي ﴿ والقلب يدرك ما لا يدرك البصر

(وقال) رجل لبشار ما سلب الله من عبد كريمته الا عوضه عنها انما الذي عوضك عن عينيك فقال فقد النظر الى بغيض مثلك (وقال) ابو يعقوب الخزيمي من فضائل العمى ومرافقه اجتماع الرأي والذهن وقوة الادراك والحفظ وسقوط الواجب من الحقوق والامان من فضول النظر الداعية الى الذنوب وفقد رؤية الثقلاء والبغضاء وحسن العوض عن مراجي الوجه في دار الثواب وقال منصور الفقيه يا معرضا ازدراني ﴿ لما رآني ضريرا كم قد رأيت بصيرا ﴿ اعمى واعمى بصيرا
قل لي وان انت انصفت قلت خلقا كثيرا

﴿باب ذم العمى﴾

أحسن ما قيل فيه قول الشاعر

لا تلومن في السفاهة أعمى * فسكوت المحب عنه صواب
كيف يرجو الحياء منه صديق * ومكان الحياء منه خراب

(وقال) الجاحظ رأيت ضريرا بباب الكرخ يقول ارحموا ذا الزمانتين فقلت أما احداهما فالعمى فما الاخرى قال عدم الصوت أما ترى الشاعر كيف يقول

أرى شيئين ان عدما * فخير منهما الموت
فقير ماله مال * وأعمى ماله صوت

وينشد

صوت أعمى قال في مجلس * يا قوم ما أوجع فقد البصر
فقال من بينهم أعور * من العمى عندي نصف الخبر

(وقال) منصور الفقيه

جعلت الجدار دليلي عليك * لاني أراني مثل الجدار
وصار نهاري وليلي سوا * وقد كان ليلي مثل النهار

﴿باب مدح السجن﴾

أحسن ما قيل فيه قول علي بن الجهم

قالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأي مهند لا يغمد
أوما رأيت الليث يألف غيله * كبرا وأوباش السباع تردد
والبدر يدركه المحاق فتنجلي * أيامه وكأنه متجدد
ولكل حال معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما تحمد
والسجن ما لم تغشه بدنية * شنعاء نعم المنزل المتورد
بيت يجدد للكريم جلاله * فيزار فيه ولا يزور ويقصد

(واحسن) ما قيل في تسلية المسجونين قول البحتري

اما في رسول الله يوسف اسوة * لمثلك محبوسا على الضيم والافك
اقام جميل الصبر في السجن برهة * فافضى به الصبر الجميل الى الملك

(وقال البستي)

: فديتك يا روح المدام والعلى * بأنفس ما عندي من الروح والنفس
حبست فمن بعد الكسوف تبلج * تتيه به الآفاق كالبدر والشمس
فلا تعتقد للحبس هما ووحشة * فقبلك قدما كان يوسف في الحبس

(وقال آخر)

بنفسي من لم يضربوه لريبة * ولكن ليبدو الورد في سائر الغصن

ولم يودعوه السجن الا مخافة * من العين ان تعد وعلى ذلك الحسن
وقالوا كما شاركت فى الحسن يوسفا * فشاركه أيضا فى الدخول الى السجن

(ومن) أبلغ ما قيل فى الاهانة بالحبس والضرب قول بعض الاعراب

وما الحبس الا ظل بيت سكنته * وما السوط الا جلدة وافقت جلدا

باب ذم السجن

كتب يوسف عليه السلام على باب السجن هذه منازل البلاء وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء وقبور الاحياء (وكتب) بعض المحبوسين الى صديق له كتبت اليك من دار لست لها مالكا ولا مرتهنا ولا مكتريا ولست بوقف على ولست فيها ضيفا ولا زائرا وقال انا لله وانا اليه راجعون كتبه من السجن (وقال شاعر من المسجونين)

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها * فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

(وقال) عبد الملك بن عبد العزيز وكان فى حبس الرشيد

ومحلة تشمل المكاره أهلها * وتقلد واستهزاء الاعداء
دار يهاب بها اللئام وتتقى * وتقل فيها هيبة الكرماء
ويقول على ما أراد ولا ترى * حراية قول برقة وحياء
ويرق عن مس الملامة وجهه * فيصونه بالصمت والاغضاء

باب مدح التعليم

احسن وأجمع ما سمعت فى مدح التعليم قول أبى زيد البلخى فى رسالة كتبها الى من غيره بأنه معلم ليس يستغنى عن التعلم والتعليم أحد لان الخاصة والعامة تضطر اليهما فى جميع الديانات والصناعات والآداب والانساب والمكاسب والمذاهب فما يستغنى كاتب ولا حاسب ولا صانع ولا بائع ولا احد فى كل مذهب ومكسب أن يتعلم صناعة ممن هو أعلم منه ويعلم من هو اجهل منه وقوام الخلق بالتعلم والتعليم فالمعلم افضل من المتعلم لان صفة المعلم دالة على التمام والافادة وصفة المتعلم دالة على النقصان والاستفادة وحسبك جهلا من رجل يذم ما وصف به الخالق نفسه ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس به قال الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وقال وعلمناه من لدنا علما وقال الرحمن علم القرآن وقال فى وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلمهم الكتاب والحكمة الآية

باب ذم التعليم

احسن ما قيل فى ذم المعلم قول الشاعر

وكيف يرجى العقل والحلم عند من * يروح الى انثى ويغدو الى طفل
(وقال آخر) يهجو معلما
معلم صبيان وحامل درة * وليس له عقل بمثقال ذرة
(وقال الحمدوني)
معلم صبيان يروح ويغتدي * على انفه ألوان ريح فسائهم
وقد افسدوا منه الدماغ بفسوهم * ورفعهم اصواتهم ونداثهم
ويستخدم الغلمان ثم ينيكهم * ويقتلهم جوعا بأكل غذائهم
(وقال آخر)
ان المعلم حيث كان معلم * ولو ابتنى فوق السماك بناه *
اوكان علم ساعة من دهره * اوكان علم آدم الاسماء
لا بد من نقص يكون بعقله * فاخلص بنفسك حيث كان الداء
(وقال الجاحظ) عقل مائة معلم عقل امرأة وعقل مائة امرأة عقل حائك (وقيل) مر معلم بالنظارة الى بعض الحروب فاصابت رأسه نشابة وبقيت فيه فلما اريد نزعها منه قال جارحه ارفقوا به لا تصيبوا دماغه فقال انزعوها كيف شئتم ولو كان لي دماغ ما خرجت في النظارة الى الحرب (وقيل) اعلم ان معلم لا تكن احمق فقال حمق موروث

باب مدح الرقيب

(قال بعض الظرفاء) لا أقوم بواجب شكر الرقيب لانه حفيظا على الحبيب كما يمنعني يمنعه من غيري وانشد
موقعي للرقيب ما انساه * لست اختاره ولا آباه
مرحبا بالرقيب من غير وعد * جاء يجلو علي من اهواه
لا احب الرقيب الا لاني * لا ارى من احب حتى اراه
(ويقال) الرقيب ثاني الحبيبين

باب ذم الرقيب

قد جرى المثل بثقل الرقيب وحسن توقع فقده ومن احسن ما قيل في ذمه قول ابن الرومي
ما بالها قد حسنت لنا ورقيبها * ابدا قبيح قبح الرقباء *
ما ذاك الا انها شمس الضحى * ابدا يكون رقيبها الحرباء
(ولبعضهم) هم يقتلوا رقطا الافاعي وربها * عقارب ليل نام عنها حواتها
وودنا ان تعلوا على الذي لم اعنه به * وما آفة الاخبار الا رواتها

باب مدح لا

احسن ما قيل في مدح لا نثرا قول بعض الحكماء لو لم يكن من فضل لا الا انها افتتاح كلمة التوحيد لكان كافيا يعني لا اله الا الله ونظما قول غيره

اجتمع الناس على ذم لا * غيري فاني موجب حق لا
وذا لاني قلت يوما له * تحب غيري سيدي قال لا

(وقال الكندي) قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم (وقال) سليمان بن عبد الله بن طاهر

في كل شئ سرف * يكره حتى في الكرم
وربما ألفيت لا * أفضل من ألف نعم

(وكان المهلب) يوصي ابنه عبد الملك ويقول له اياك والسرعة عند مسئلة بنعم فان نعم أولها سهل في مخرجها وآخرها ثقيل في فعلها واعلم أن لا وان قبحت فربما روحت وان كنت في أمر تسئله على قدرة ففيه فاطمع وان عرفت أن لا سبيل اليه فاعتذر عنه وادفع فان من لا يدفع بالعذر فنفسه ظلم

* باب ذم لا *

(وقال بعضهم)

لعن الله قول لا * خلقت خلقة الجلم
انما تقرض الجميل وتدني على الكرم

وزيد ف ابو الحرث ليحيى بن خالد البرمكي فقال قبح الله لا كأنه مشعب من حيث أتيته فالمشعب عيدان يشعب بعضها الى بعض مفتحة الاطراف تعلق عليها الثياب (وقال غيره) على نحو ما تقدم

ياليت لا ما كنت * فانها تحكي الجلم

* باب مدح اليمين *

(ادعى) رجل على داود بن علي الاصبهاني مالا في مجلس حكم عند اسمعيل بن اسحق القاضي فانكره وحلف له فقال القاضي يا أبا سليمان أنت مع محلك من العلم تحلف في مثل هذا المجلس فقال نعمت اليمين الصادقة ثناء على الله وانما فعلت ما أمر الله به ورسوله فقال وما هو فقال أليس الله يقول لرسوله عليه الصلاة والسلام ويستنبئونك أحق هو قل اي وربي انه لحق ويقول سبحانه وتعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن وقال جل ذكره وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم قال القاضي قم بالسلامة فما أرى أحدا يقطعك (وقال ابن الرومي)

واني لذو حلف حاضر * اذا ما ضطررت وفي الحال ضيق
فهل من جناح على مسلم * يدافع بالله ما لا يطيق

(وكان) أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقول اذا ابتليت بالسلطان فخرق دينك

بالايمان ورفعه بالاستغفار فان الله تعالى يقول لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

﴿باب ذم اليمين﴾

(قال) الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث المرفوع اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع (ويقال) اليمين حنث ومندمة (ويقال) كلام الجاهل كله حلف وكلام العاقل كله مثل (وقال) بعض السلف دع اليمين لله اجلالا وللناس اجمالا (وقال ابن المعتز) علامة الكذاب مبادرته باليمين لغير مستحلف وقيل لو لم يكن فى اليمين الا أنه يغضب صاحبه ويبغضه الى الناس ولو كان فيه صادقا لكفى

﴿باب مدح شهر رمضان﴾

فى الحديث المرفوع اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين (وكان) عليه الصلاة والسلام يبشر أصحابه فى شهر رمضان ويقول قد جاءكم الشهر المبارك الذى فيه الليلة التى هى خير من ألف شهر ولله فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان ستمائة ألف عتيق من النار وله فى آخر ليلة من لياليه مثل ما أعتق فى جميع الشهر (وقال) بعض الزهاد

ان شهر الصيام مضمار نسك ✱ وسباق الى رضا المعبود
حلبة خيلها الصيام مع النسك وادخالها جنان الخلود

(وقال آخر) وهو أبدع ما قيل فيه

شهر الصيام مشاكل الحمام ✱ فيه طهور بجوامع الآثام
فاطهر به واحذر عثارك انما ✱ شر المصارع مصرع الحمام

(وقال) أبو جعفر محمد بن موسى الرامى

مضى رمضان المرمض الدين فقده ✱ وأقبل شوال يشول به فورا
فيالك شهرا أشهر الله قدره ✱ لقد شهرت فيه سيوف الهدى شهرا

(وقال الصاحب)

قد تعدوا على الصيام وقالوا ✱ حرم العبث فيه حبس العوائد
كذبوا فالصيام للمرء مهما ✱ كان مستيقظا أتم الفوائد
موقف بالنهار غير مريب ✱ واجتماع بالليل عند المساجد

﴿باب ذم شهر رمضان﴾

كتب أبو على البصير الى ابن مكرم فى شعبان كتبت اليك فى آخر يوم من أيام الدنيا

بادبار

بادبار شعبان واول يوم من أيام الآخرة باقبال شهر رمضان (وقال) بعض المجان شهر رمضان مخشلبة بين درتين يعني شعبان وشوالا (وقال) البحتري

طال هذا الشهر المبارك حتى * قد خشينا بأن يكون لزاما
كم صحيح قد ادّعى السقم فيه * وعليل قد ادعى البرساما
ولخير من السلامة عندي * للفتى علة تحل الحراما

(وقال ابن الرومي)

شهر الصيام وان عظمت حرمته * شهر ثقيل بطيء السير والحركه
يمشي رويدا فأما حين يطلبنا * فلا السليك يدانيه ولا السلكه
كأنه طالب ثأرا على فرس * أجد في اثر مطلوب على رمكه
شهر كأن وقوعي فيه من قلقي * وسوء حالي وقوع الحوت في الشبكه
يا صدق من قال أيام مباركة * ان كان يكني عن اسم الثقل بالبركه
أذمه غير وقت فيه أحمده * وقت العشاء الى أن تصقع الديكه
لو كان مولى وكنا كالعبيد له * لكان مولى بخيلا سيئ الملكه

(وقال أيضا)

اذا ما كنت في صوم لقوم * دعوت لهم بتطويل العذاب
وما التبريك في شهر طويل * يطاول يومه يوم الحساب
فليت الليل فيه كان شهرا * ومر نهاره مر السحاب
فلا أهلا بمانع كل خير * وأهلا بالطعام وبالشراب

(وقال غيره) الغوث من هذا الصيام * قد صار لي مثل الحمام
ما ان أمتع بالطعام وبالمدامة والمرام

(ولمؤلف الكتاب)

رمضان أمرضني وأمرض باطني * صادات صد كالطبائع أربعه
صوم وصفراء تجرعني الردى * وصبابة وصدود من قلبي معه

(وقال بشار) قل لشهر الصيام أنحلت جسمي * ان ميقاتنا طلوع الهلال
اجهد الآن كل جهدك فينا * سترى ما يكون في شوال

باب مدح الوعد

(حدثني) عون بن محمد قال حدثني أحمد بن سيار قال وعد يزيد بن مزيد رجلا قضاء حاجة فقال له لم تعدني وأنت تقدر على الانجاز فقال تسر الى وقت قضاء الحاجة فان سرور القضاء وقت واحد وسرور الوعد الى وقت الانجاز متصل ولو شاء الله أن يفتح مكة لنبيه عليه الصلاة والسلام لفتحها أول ارادته ولكن أحب أن يتصل سرور

المسلمين باتصال انقضاء الوعد وعن أحمد بن يزيد قال حدثني البحتري عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال لي أمرك اليوم بالوعد وأحبوك غدا بالانجاز فاني سمعت يحيى بن خالد البرمكي يقول المواعيد شبك الكرام يصيدون بها محامد الاحرار ولو كان المعطي لا يعد لارتفعت مفاخر انجاز الوعد وبطل فضل صدق القول

(باب ذم الوعد)

(أخبرنا) محمد بن الحسن قال أبو الحسن المدائني حدثت عن الخليل بن أحمد قال بلغني أن طلحة الطلحات قال ما بات لرجل على موعد منذ عقلت وما نام المودود في ليلة ليغدو للظفر بحاجته أشد من تململي للخروج اليه من عدته خوفا لعارض الخلف ان الخلف ليس من أخلاق الكرام (قيل) وكان عمر بن عبد العزيز لا يكاد يوجب على نفسه شيأ توقيا للخلاف

(قال مؤلفه أبو نصر) لم أجد هذين البابين في الاصل غير أني وجدتهما في النسخة الساقطة التي من أصفهان والله سبحانه وتعالى أعلم

(يقول مصححه الراجي غفر المساوي السيد محمد الفيومي النجاوي)

بحمد من أمطر في رياض بصائر أهل الآداب سحب المعارف تم طبع هذا الكتاب المسمى باللطائف والظرائف وهو كتاب جمع من طرف الآداب طرفا بديعا واحتوى من غريب المدائح والمذام على ما تسجد له الاقلام ويدين له لسان الفصاحة سميعا مطيعا حري بتنافس البلغاء وجدير بأن تتسابق في ميدان جمعه الفطناء الاذكياء فلذا وجهت العناية لاتقان طبعه وانتدبت همة الاتقان لتحسين وضعه واعتنى أدهم اليراع في تصحيحه على حسب الاستطاعه ووفاه ما يجب من أداء لواجبات هذه الصناعه وذلك بالمطبعة العامرة الشرفيه التي قد نبت رحا دورتها في مصر خان أبي طاقيه وفاح مسك ختامه وبدر بدر تمامه في يوم الاحد المبارك الثاني عشر من شهر شعبان الاعظم ثامن شهور عام ألف وثلاثمائة من هجرة النبي الاعظم صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وعترته وتابعيه وسائر أحزابه ما دامت نفحات ونفحت ...

آمين